١٠١٧
1017
Harlequin
سلسلة قصص وروايات هاربر
دار النحاس

درب الفردوس

شيرلي كمب

WWW.REWITY.COM
مرمورية

روايات عبير

درب الفردوس

شيرلي كمب

«نذهب حيث أنا أريد، إلا إذا كنت تفضلين الترجل من السيارة والمشي على الأقدام.»

لم تقابل جينا أي شخص، قط، صعب القياد مثل دانكن فرغسون. لا ريب في أنه رجل لطيف، لقد ساعدها وأختها الصغيرة سوزي، بعد أن صدمت سيارتها. ولكن هذا لا يجيز له أن يبقيهما في منزله، سجينتين تقريباً. من هنا كانت البداية! أصبحت سوزي متعلقة جداً بدانكن، والأسوأ، أن مشاعر جينا نحوه أصبحت أكثر دفئاً. لقد حان الوقت كي تتابع رحلتها لزيارة خالتها... أم هل هذا ما يجب عمله، كي تتخلص من دانكن فرغسون؟

«أيتها الغبية الصغيرة.»
قال بقسوة.

«كان من المحتمل أن تدقي عنقك.»

رفعت جينا رأسها ونظرت إليه، نظرة اتهام.

«أليس هذا ما تريده؟ العين بالعين؟»

ابعدها عنه، ورأت تحت ضوء القمر الخافت، تصلب ملامح وجهه. «أهذا ما تعتقدين؟»

«أجل.» ولم يبد من نبرتها، استعدادها للمهادنة.

١٠١٧

روايات عبير

Riwayat Abir 1017

درب الفردوس

شيرلي كمپ

مؤسسة النحاس
لتوزيع الصحف و المطبوعات
بيروت - لبنان

شيرلي كمپ

ولدت شيرلي كمپ في جنوبي ويلز، ولكنها تنتمي بالوراثة إلى كل من المقاطعات الأربع التي تتشكل منها بريطانيا. وهذا ما يفسر شخصيتها المتململة والمندفعة بتهور، كان من نتيجتها، أنها غادرت مسقط رأسها لتقيم في فرنسا. كانت أوقات فراغها نادرة، لأنها كانت ثاني أكبر اشقائها السبعة، ولكنها كانت تقرأ بنهم وتؤلف لأجل متعتها الخاصة. أصبح تأليف الروايات امتداداً طبيعياً لهواية الصبا، وما تزال تتمتع بهذا العمل.

www.riwayatabir.com

الفصل الأول

انحرفت جينا بسيارتها لتتجنب الصخرة الكبيرة التي ظهرت بشكل مفاجيء ومخيف عند المنعطف الأخير المتماوج من الطريق، لكن جانباً من السيارة ارتطم بالصخرة.

تردد صوت الارتطام بعيداً في الوادي.

استيقظت سوزي وهي ترتعد من جراء الصدمة، ونظرت إلى اختها بعينين زرقاوين خائفتين قائلة: «أوه! جينا! ماذا حدث؟»

هدأتها جينا بقولها: «عزيزتي، إنه مجرد حجر في الطريق. لا داعي للاضطراب. هل أصابك أي مكروه؟»

ردت سوزي: «لا أعلم، لكني أشعر بأن رأسي يؤلمني.»

«أين؟» وما أن رأت أثر الصدمة على رأسها حتى قالت جينا لنفسها، يجب أن أبقى هادئة. وظهر أن الورم قد بدأ يكبر شيئاً فشيئاً أمام عينيها المضطربتين. سألت: «هل تؤلمك كثيراً؟» تحسست جينا بأصابعها موضع الصدمة الذي بدأ يتلون.

جفلت سوزي وقالت: «تؤلمني قليلاً. وأحس بدوار غريب في رأسي.»

حاولت جينا أن تبقي صوتها هادئاً وعلى الطبقة نفسها، ثم سألت أختها: «هل تشعرين بالنعاس؟»

«قليلاً.» وأخذت تغمض عينيها الزرقاوين.

«لا تنامي، يا سوزي.» حاولت جينا أن تبقي الخوف بعيداً عن صوتها، فهي لا تريد أن ترعب أختها، ثم حاولت أن تتذكر القليل مما تعرف عن الاسعافات الأولية. إذا كانت الحالة ارتجاجاً في الدماغ، أليس من المستحسن أن تبقي الشخص المصاب مستيقظاً؟ «هل أصبت في مكان آخر؟»

أجابت سوزي بأنها لا تعلم، وهي غارقة في مقعدها. اقتربت جينا منها لتتفحصها، لكنها أحسّت بألم في معصمها الأيسر وأصدرت أنيناً. إن كل ما ينقصها الآن هو كسرٌ في معصمها. لكن المهم الآن هو أختها الصغرى التي في الدرجة الأولى من اهتمامها الأول.

سألت أختها: «هل يؤلمك أي شيء آخر؟»

مرّرت جينا يدها على الجسد الصغير الهزيل، وتنهدت بارتياح ما أن تمتمت سوزي: «لا، رأسي فقط.»

«حاولي أن تبقي مستيقظة، يا سوزي، بينما أفكر بما سأفعل.»

جالت جينا بنظرها متفحصة المكان غير مبالية بمعصمها الذي يؤلمها. بدا أن معصمها هو الاصابة الوحيدة.

حاولت أن تفتح باب السيارة، ولكنه كان محطماً جزئياً. تضايقت وارتدّت إلى مقعدها. كانتا مرتبكتين بسبب الطرق التي مرتا بها منذ ساعة. لقد كانت كابوساً. فكلها طرق ضيقة، وعرة، ومليئة بالحفر التي تشكلت نتيجة الأمطار التي تندفع من القمم الصخرية إلى الأسفل. وربما كانت الأمطار القوية التي هطلت مؤخراً هي التي تسببت بتدحرج الصخرة على الطريق.

تأكدت بشعور مرهف أنها لو انحرفت السيارة إلى يمين الطريق قليلاً، لكانت هي وأختها قد سقطتا إلى الوادي.

تنفست جينا بصعوبة. عندما استرجعت وعيها بدقائق وحاولت أن تخرج وتلقي نظرة على الحطام. وربما تستطيع أن تلمح بيتاً في مكان ما من الوادي.

«هل أنت بخير؟»

فجأة رأت شكل شبح يظهر من خلال باب السيارة نصف المفتوح.

سألت: «يا إلهي! من أين ظهرت؟»

«لقد سمعت ارتطام الحديد من أسفل الوادي.» ثم أكمل الرجل كلامه: «هل أصيب أحد؟»

«أختي، سوزي، أصيبت بصدمة في رأسها، ولحسن الحظ لم تكن الصدمة قوية جداً وأنا أشعر بيدي خدرة قليلاً.» أحست جينا بارتياح للانقاذ غير المتوقع.

قال الرجل: «شكراً لله.»

سمعت جينا تنهده العميق، ورمقته بنظرة فضولية. فقد كان جزءٌ من وجهه مخبئاً بسترته التي رفعها إلى الأعلى من أجل تفادي المطر المتساقط. ولكنه ظهر شاحباً وقلقاً تحت الضوء.

قال الرجل: «لنلق نظرة على الطفلة أولاً، ثم أتفحص يدك.»

فتحت سوزي عينيها وحدّقت به، حالما انحنى عليها وأخذ يتفحص موضع الاصابة في رأسها.

قال: «يظهر أنها بخير.»

«هل تعتقد بأن لديها كسراً في الجمجمة؟»

أجاب الرجل: «يظهر بأنها شديدة النعاس. لم تكن على وشك المرض، أليس كذلك؟»

أجابت جينا: «لا.»

«هذا حسن. حسناً، لنرجو الأفضل.» والتفَّ ثانية إلى الجانب الآخر من السيارة.

«لنلقِ نظرة سريعة على معصمك.»

مدَّ الرجل الغريب يده، وبدورها جينا وضعت يدها على يده بنعومة. وأخذ يتفحص معصمها. وخلاف ما توقعت كانت يداه الكبيرتان ناعمتين ومريحتين.

بعد دقيقة أو دقيقتين أنزل يدها. «لا أعتقد، أنها مكسورة. لكنني لست خبيراً وسنحتاج إلى الطبيب ليلقي نظرة عليها.»

التقت عيناه بعينيها وبسرعة تمعَّن في ملامح وجهها. وصدمت جينا من جهتها بملامحه الحادة. ولسبب ما لم تستطع أن تتحمل نظراته، فأحنت رأسها شاعرة بأن دفئاً يزحف إلى وجنتيها.

لقد استطاعت جينا أن ترى منقذهما من خلال باب السيارة نصف المغلق، رجلاً ضخماً. بدا لها من حبيبات المطر في شعره الأسود الذي ظهر من تحت القبعة، بأن المطر بدأ يتساقط.

قال الرجل: «ضعي هذا الوشاح الذي ترتدينه على معصمك إلى أن يستطيع الطبيب أن يلقي نظرة عليه.»

بادرته جينا بالقول: «إني مرتاحة لرؤيتك.»

رد عليها قائلاً: «أنت محظوظة، لأني سمعت صوت الارتطام من مسافة بعيدة، وإلا كان عليك أن تبقي هنا حتى

الصباح. غلينري على بعد أميال من هنا، ولا أحد يستخدم هذه الطريق ليلاً.»

أحسَّت ببرودة أصابعه عندما لامس حنجرتها وهو ينتزع المشبك الصغير الذي استعملته ليثبت المشلح على رقبتها. ارتجفت جينا ولكن الرجل لم يكن واعياً لردة فعلها.

ما أن ربط الوشاح وثبته حول معصمها حتى قالت جينا: «شكراً لك. فأنا ممتنة جداً.»

«لا حاجة للشكر. لكن عليَّ أن أترككما لبرهة وسأعود، إبقي هادئة ومرتاحة.»

ابتعد بسرعة تاركاً جينا تتساءل عن هذا الرجل، وكيف حدث أن ظهر بطريقة عجيبة في هذه البقعة.

التفتت إلى أختها سوزي فوجدتها مستغرقة في النوم. تساءلت جينا فيما إذا كان يجب عليها أن توقظها أم لا. ويظهر أن الورم ازداد وأصبح لونه داكناً. لكن وجنتيها قد استعادتا لونهما الطبيعي، وكان تنفسها طبيعياً. حضنت جينا أختها وتراجعت إلى مقعدها منتظرة عودة الرجل الغريب.

أخذت السماء تظلم تدريجياً، وهبت نسمة باردة من خلال شق الباب. كانت جينا ترتجف بسبب الصدمة والبرد. فلفت نفسها بمعطف كان معها.

لحسن الحظ، لم يمض وقت طويل حتى رأت ضوءاً آتياً من بعيد. وقد فرَّ قلبها حين رأت سيارة تقترب منهما ومن خلال الضوء استطاعت أن تحدّد خيال منقذهما. وتقدّم الرجل الغريب نحوها.

«إني آسف، لتركك تنتظرين.» أبعدت جينا أختها سوزي

عنها بلطف، وبدأت تحرك مقعدها. أضاف الرجل: «لقد كنت أبعد مما تصورت. فعندما سمعت صوت الاصطدام، انحصر تفكيري فقط، في أن أصل إلى هنا. تسلقت التل مشياً على الأقدام بدلاً عن قيادة السيارة.»

ردت جينا قائلة: «أنا مسرورة بهذا.» وما أن تحركت حتى أحست بأن معصمها يؤلمها.

«تمهلي.» أحاط خاصرتها بيد، وتابط مرفقها باليد الأخرى وأمسك ذراعها باحكام.

حاولت جينا أن تبذل كل جهدها للخروج من السيارة. عندما أصبحت خارج السيارة، لم تساعدها رجلاها على الوقوف فما كان منه إلا أن شدها إليه باحكام.

«هل تستطيعين السير؟ فأنت تبدين ضعيفة كطفلة.» كان صوته لطيفاً وله تأثير غريب على جينا.

أجابت جينا وهي محرجة: «ربما هذا بسبب الصدمة. فأنا في العادة، لست بهذا الضعف.»

ضحك وقال: «أنا أكيد من هذا.»

لم تستطع أن تتبين، من خلال نبرة صوته كيفية التعامل معه. وليس لديها الوقت الكافي لتتعمق في هذا. حتى ضحكته أثارتها. ودهشت لتجاوبها غير العادي مع هذا الرجل الغريب.

من الأفضل أن تبقي مسافة بينه وبينها، وهي على هذا الشعور المتقلب. اندفعت قائلة: «أنا... أنا أعتقد بأني قادرة على الوقوف بمفردي.» فما كان منه إلا أن أبعد يديه عنها فتمايلت.

قال: «لنرفعك إلى أعلى.» حملها بسهولة بين يديه،

حاولت جينا جاهدة أن تصارع رغبة مسيطرة عليها في أن تلقي رأسها على صدره. فقماش سترته كان خشناً على وجنتها وله رائحة رجولية خاصة، مريحة نوعاً ما.

لقد شعرت وكأنها طفلة بحاجة إلى الأمان ولكن تعابير وجهه المشدودة والقاسية، نكرتها بالتلة الصخرية خلفهما.

قالت بصوت فيه شيء من الغضب: «باستطاعتك أن تنزلني الآن. أنا أكيدة بأني سأكون بخير. شكراً لك.»

تجاهل ملاحظتها، وحملها بسهولة إلى سيارته وأنزلها من دون أي جهد على المقعد الأمامي وتركها. ثم عاد بعد عدة ثوانٍ يحمل سوزي بين ذراعيه، وهي لا تزال نائمة. ووضعها بلطف على المقعد الخلفي.

ألقت جينا نظرة قلقة على أختها متمتمة بصلاة صامتة: أرجوك يا إلهي، أن تكون بخير. لقد ألمّت بهما مصيبة كافية السنة الماضية.

أبعدت جينا الأفكار الكئيبة عن رأسها وحاولت أن تكون متفائلة. فعلى الأقل، اصاباتهما ليست خطرة، وقد ساعدهما الحظ قليلاً، بوجود هذا الرجل الغريب.

دخل منقذهما السيارة واتخذ مقعده إلى جانب جينا. وعندما بدأ يُرجع سيارته إلى الوراء، قال: «سيارتك ستكون بأمان هذه الليلة. وسوف أرسل شخصاً ما ليتفحصها في الصباح، ويبعد هذه الصخرة عن الطريق.»

تبدو عليه الرصانة والحزم، وقد فكرت جينا بأن هذا الرجل هو من ذاك النوع الذي تعوّد أن يتحمل المسؤولية.

قالت بصوت خانع: «شكراً لك.»

www.rewity.com

اتسعت الطريق حيث تمكن من أن يستدير بسيارته، حبست جينا أنفاسها عندما ادركت أنهم على شفير الهاوية، ولكن يداه الكبيرتان حوّلتا العجلة بمهارة وبسرعة وأصبحوا بعيدين عن المكان المخيف.

أرادت جينا أن تشعر بالأطمئنان، ولكنها أحسّت بأن وجهه المتجهم منعها عن الكلام، فقررت أن تبقى هادئة إلى جانبه، تتمايل مع حركة اللاندروفر، ومحاولة أن تكون حذرة منه. على الرغم من سعة المقعد الأمامي، ملأ جسمه كل المكان. كانت كتفاه محاذيتين لكتفها، وأحسّت بقوة شخصيته وبرغبة بأن تميل عليه لتريح رأسها الذي يؤلمها على ذراعه.

صدمتها هذه التخيلات. فهي ليست من النوع الذي يميل لأقرب رجل عندما تسوء الأمور معها.

قال الرجل: «ماذا تفعلين على هذه الطريق في هذا الوقت المتأخر؟»

أجابت بلهجة مدافعة: «كنت في طريقي إلى غلينري. خالتي وابنها يملكان مدرسة هناك. وأنا وشقيقتي ذاهبتان لنساعدهما في الصيف.»

«هل لويز أندرسون خالتك؟»

بدا هذا السؤال وكأن فيه رائحة اتهام مما جعل جينا تجيب بحياء. «نعم. هل تعرفها؟»

ضحك ضحكة جافة، مما جعل أعصاب رقبتها تتشنج «نعم. إني أعرفها.»

اكفهرت جينا، فالكلمات لا تعني شيئاً ولكن لهجته كانت غير مريحة وسألت: «هل أنت... جارها؟»

أجاب: «أنا دانكن فرغسون. تستطيعين أن تقولي بأني جار خالتك ولكن على مسافة.»

عاد ينظر إلى الطريق ثانية. ولكن نبرته ما زالت تحيّر جينا.

حاولت أن تبدّد هذه الحيرة قائلة: «هل تعيش في غلينري؟»

«نعم. على بعد أميال من القرية.» ثم سألها: «ألم تأت إلى هنا من قبل؟»

«لا. فأنا لم أر خالتي منذ عدة سنوات. وذلك منذ زواجها الثاني ومجيئها إلى غلينري، أي منذ كنت طفلة.»

ضحك دانكن وقال: «ليس ذلك منذ عدة سنوات، فأنت لست أكبر من طفلة بكثير.»

«إن عمري هو حوالى أربعة وعشرين عاماً. فأنا لست طفلة.»

ضحك ثانية وقال: «بالطبع. أنت على حق. أربعة وعشرون عاماً ليست بالقليل، ولكن لا يبدو عليك ذلك.»

توردت وجنتا جينا. «شكراً لك.»

تشجعت جينا بضحكته وسألت: «كيف هي غلينري؟»

فكر بسؤالها قليلاً ثم أجاب: «حسناً، إنها قرية كأية قرية. مكان صغير حيث كل شخص يعرف الآخر ويعرف نوع عمله. وهذا ما ستكتشفينه قريباً.»

التفت إليها ثانية وكان التعب بادياً على وجهها وسأل: «ما اسمك؟»

«جينا وايلد.» وأشارت بعد ذلك إلى شقيقتها النائمة وقالت: «وهذه أختي سوزي.»

www.rewity.com

قال بسخرية: «الإسم يناسبك. لا شخص يقود سيارته على هذه الطريق الخطرة، عند المغيب إلا إذا كان متهوراً. المفترض أن يكون المرء أكثر وعياً ويكتفي بالقيادة على الطريق الرئيسية.»

أجابت جينا: «لقد فعلت. ولكن، ربما سلكت المنعطف الغلط.»

رد عليها قائلاً: «يجب على المرء أن يفكر عدة مرات. ألم يعطك ابن خالتك، ستيوارت أندرسون، أي فكرة عن الطرق الآمنة؟»

أجابت جينا: «أنا قادرة تماماً على معرفة طريقي بنفسي، شكراً لك.»

رمقها بنظرة حادة وقال: «لقد عرفت أنك عنيدة من اللحظة الأولى التي رأيتك فيها. ولكن في هذه الحالة كان عليك أن تأخذي بالنصيحة، فهذا الجزء من القرية وعر جداً. حتى لو برعت في القيادة على الطرق الوعرة، فالخطر يبقى موجوداً.»

فكرت جينا بأن هذا الوصف يمكن أن يطبق أيضاً على سكان هذا المكان أيضاً.

ردت جينا قائلة: «لم يكن الخطأ خطأي، فقد كان هناك صخرة كبيرة عند منعطف الطريق. وكان من الممكن أن يقع هذا الحادث لأي شخص.»

أجابها: «أي شخص مع قليل من الذكاء لا يأخذ هذه الطريق مع حلول الظلام. ولكن يبدو أن الذكاء ليس ميزة قوية في عائلتك.»

احتدّت جينا وفركت كفيها ببعضهما البعض، تصارع

رغبة واضحة لمجابهته. تنفست بعمق وعدّت إلى العشرة بهدوء وقالت: «أنا أقود منذ الصباح. وغلينري تبعد أقل من نصف ساعة. ولو لم يكن حظي سيئاً واصطدمت بتلك الصخرة، لكنت هناك قبل الظلام.»

ارتجف صوتها عند كلماتها الأخيرة، وادركت كم كانت قريبة من الوصول إلى المكان المقصود. اصطدامها بالصخرة هو سوء الحظ... إنه سوء الحظ نفسه الذي يلاحقها منذ أمد بعيد. وسوء الحظ نفسه الذي افقدها مهنة التدريس.

قالت جينا: «أنا جدّ ممتنة لمساعدتك، لكن هذا لا يعطيك الحق بأن تنتقدني أو تنتقد أي شخص من عائلتي.» حملقت به، وفي اللحظة نفسها نظر إليها ليقابل نظرتها.

قال لها: «حسناً. يبدو أن لديك الشجاعة أكثر من أي شخص آخر في عائلتك.»

نظر بعيداً بصمت، تاركاً جينا لمشاعرها المضطربة.

يبدو أنه بحاجة الآن لتركيز أكثر، فقد اصبحت الطريق التي يعبر، ثانية، ضيقة وصخرية.

بعد مسير لوقت قصير، وجدت جينا الشجاعة لتسأله: «هل نحن نقترب من بيت خالتي؟»

«لا ولكننا قريبون من بيتي حيث ستتوقفان هذه الليلة. وسوف أدعو الطبيب ماكراي، ليلقي نظرة على الصغيرة ويتفحص يدك في الوقت نفسه.»

«ولكنني لا أريد أن أسبب لك المتاعب.»

رد عليها قائلاً: «ليس هناك من مشكلة.»

وصلوا إلى مفترق طرق وخفف سيره لينعطف

يساراً. حاولت أن تخفي الخوف من صوتها وقالت جينا: «أفضل الذهاب إلى بيت خالتي في غلينري. إذا لم تمانع.»

رد عليها قائلاً: «ولكنني أمانع.» وتحت ضوء القمر الباهت شهدت جينا ثانية ملامح وجهه الوسيم القاسي. وهنا قال: «سنذهب حيث أريد، إلا إذا كنت تريدين الخروج من السيارة والسير على الأقدام.»

فكرت جينا للحظة أن تفعل ذلك، ولكنها ادركت على الفور، برغم كرهها لهيبته الفجة، بأن ليس لديها البديل. ستبقى هي وشقيقتها تحت رحمته وليس بوسعها أن تفعل شيئاً آخر.

أما هو فقد بقي صامتاً، معتقداً بأنه قال كل ما هو ضروري. وتمنت جينا لو أن هناك مجالاً للشجار وذلك من أجل أن تنقذ القليل من كبريائها، لكنها تأكدت من أن هذا لن ينفع، وكل ما تتمناه الآن هو أنه في وقت ما في المستقبل، ربما تجد طريقة لتبرهن له بأنها ليست من النوع الذي يخضع بسهولة.

غالبها النعاس، واستيقظت مذعورة، على أثر توقف السيارة. دهشت عندما اكتشفت بأن رأسها كان على كتفه. ابتعدت عنه بسرعة. ولم يمض وقتاً طويلاً حتى أوقف المحرك وأطفأ النور، وما أن تكيفت جينا مع الضوء الخافت حتى رأت مبنى كبيراً على خلاف ما توقعت. لقد توقعته كوخاً أو بيتاً صغيراً، وذلك من خلال مظهر منقذها. لم تكن مستعدة نفسياً لهذه الفخامة المتمثلة في المنزل الذي واجهته عندما انهضها.

سألها بلهجة ساخرة: «هل أنت بحاجة لأن تُحملي ثانية؟»

أجابته بكل ثقة: «لا شكراً، أستطيع السير بمفردي.»

التفت إلى سوزي التي ما زالت نائمة على المقعد الخلفي من السيارة، ما أن لمسها حتى بدأت تتحرك وتفتح عينيها. ثم حملها على ذراعيه، تاركاً وراءه جينا التي تبعته بخطى غير ثابتة.

شق طريقه إلى مطبخ واسع ودافىء، حيث كانت امرأة ذات وجه دائري تشرف على موقد الطبخ الضخم.

بدأت المرأة بالكلام: «أوه، يا سيد دانكن! كنا نتساءل متى تظهر لتتناول العشاء.» توقفت عن الكلام عندما رأت سوزي بين ذراعيه. «يا إلهي! ما لديك؟»

أجاب باختصار وهو يسلّمها سوزي: «فتاتان صغيرتان تعرضتا لحادث عند التلة. سأذهب وأتصل بالطبيب ماكراي، اطلبي من ماري أن تضع الصغيرة في السرير، ثم أحضري حساءً أو أي شيء آخر للأخرى.»

شعرت جينا وهي تصغي إلى أوامره المتعجرفة بأن جروحها تزداد عمقاً. لقد كان يأمر بتدبير أمرهما وكأنهما شريدتان، التقطهما من الشارع.

احتضنت السيدة المسنة سوزي ونظرت بجزع إلى وجنتيها المحمرتين، ثم سألت: «تقول بأنه حادث. هل هناك إصابة بالغة في الرأس؟»

وضع دانكن يده على كتفيها برقة وقال: «لا تقلقي، يا آني. حسب ما أعتقد، لا يوجد خطر شديد، وسأستدعي ماكراي إلى هنا لنتأكد من ذلك.»

ترك دانكن فرغسون الغرفة من دون أن يلتفت إلى جينا

التي وقفت هادئة، ولكن بدا عليها الاستياء وعدم الثقة.

قالت آني: «اجلسي، يا عزيزتي. سآخذ الصغيرة إلى ماري، وسأعود لأهتم بك.»

عندما تركت آني الغرفة، تحمل سوزي بين يديها، جلست جينا على كرسي قرب المدفأة، وهي تشعر بالإعياء يسيطر عليها. فوعد آني لها، بالاهتمام بها، استحضر الدموع إلى عينيها. فمنذ زمن بعيد لم يهتم بهما أحد.

تراجعت إلى الوراء على الكرسي المريح وأغمضت عينيها، تاركة التعب يسيطر عليها. أخذ النوم طريقه إلى عينيها إلى أن سمعت صوت منقذها، ولكنها وجدت نفسها غير قادرة على فتح جفنيها.

بادر دانكن قائلاً: «يبدو أنك تأخرت بالحساء، يا آني. لقد نامت.»

«أوه، إنها تعبة. هذه الفتاة المسكينة ليست أكثر من طفلة.»

«لا تدعي وجهها الملائكي يخدعك. فخلف هذا الوجه قلب نمر.»

«هذا كل ما تحتاجه امرأة في التعامل مع رجل من أمثالك، يا سيد دانكن.»

أحست جينا بنفسها تُحمل وتُنقل. ثم تُوضع في مكان ما برقة وبراحة ثم أحسّت وكأن شخصاً يخلع عنها ملابسها، ثم يضع شيئاً بارداً على جسمها، وشعرت بأنها تغرق في نوم عميق ولذيذ، هل فعلاً أحسّت بيد، بلمسة رقيقة على جبينها، بملاطفة أصابع ناعمة تداعب وجنتيها؟ أم أن هذا كان بداية حلم رائع ؟

الفصل الثاني

استيقظت جينا على أصوات لم تعتادها وعلى ضوء الشمس القوي يأتي من خلال نافذة واسعة. استطاعت أن تلمح أغصاناً مورقة من شجرة طويلة تحف بالزجاج.

وجدت جينا صعوبة لعدة دقائق في أن تتذكر أين كانت من قبل. ثم تذكرت بعد ذلك بأنها صدمت السيارة واضطرت أن تقبل ضيافة رجل غريب متعجرف.

شعرت بثقل في رأسها، وتشوش في ذهنها ثم أحست بألم في معصمها عندما حاولت أن تحركه. أحست بالتوتر وتساءلت بقلق عن حال سوزي. فكرت فعلاً في أن تقوم من فراشها وتكتشف بنفسها ماذا حلّ بسوزي، ولكن قواها خانتها.

ما أن قررت أن تبذل جهدها لتترك الفراش بأية طريقة، حتى ظهر عند الباب رجل ذو شعر أبيض ووجنتين ورديتين وشارب أصفر اللون، يتقدم نحوها إلى داخل الغرفة. ابتسم وهو ينظر إلى جينا التي ركزت نظرها على وجهه اللطيف.

قال الرجل: «مرحباً يا عزيزتي. كيف حالك هذا الصباح؟ لقد استدعيت البارحة، لكنك كنت نائمة، فألقيت نظرة سريعة عليك وفكرت بأن من الأفضل أن نترك الكشف الطبي حتى الصباح.»

«أنت الطبيب ماكراي؟»

أومأ برأسه وقال: «هو بنفسه.»

تنهدت جينا بارتياح وسألته: «هل كشفت على أختي سوزي؟»

«تبدو بحالة سيئة جداً. ولكن سأعطيها يومين لترتاح، وأنا متأكد بأنها ستكون بخير.» انحنى فوقها وقال: «دعينا نلقي نظرة عليك الآن.»

«حسناً، لا عظاماً مكسورة. المعصم سيؤلمك لفترة قصيرة، ولكن ليس هناك أي شيء بحاجة لمعالجة سريعة.»

ابتسمت جينا وقالت: «إذن سيكون باستطاعتي أن أذهب إلى بيت خالتي اليوم؟»

اكفهر وجهه. «لقد مررت بتجربة صعبة، ومن الأفضل أن تبقي هنا ليوم أو أكثر للتأكد من عدم وجود مضاعفات بالنسبة لك ولأختك.» ثم ربت على كتفها بطريقة مريحة.

«لكن خالتي سوف تضطرب وتقلق بشأننا...»

رفع يده ليوقف اعتراضها. «أنا متأكد بأنها ستكون راضية، عندما تعلم بأنكما في أيدٍ أمينة.»

«خالتي هي لويز أندرسون، وقد كانت تتوقع مجيئنا البارحة وستكون قلقة الآن لأنها لم تسمع شيئاً عنا.»

نظر إليها بطريقة غريبة ثم قال: «قلت لويز أندرسون؟ أنت ابنة أخت لويز أندرسون؟»

أجابت جينا: «نعم، فأنا وسوزي هنا لنساعدها في إدارة مدرسة الفروسية لهذا الصيف.»

أجاب الطبيب: «حسناً، أنا متأكد من أن السيد دانكن سوف يتصل بها حالاً ليخبرها عنكما.»

ضحكت جينا وقالت: «على الأقل، أنت لا تتجهم عند ذكر اسم عائلة أندرسون.»

هزَّ الطبيب رأسه وقال: «الرجل يجد صعوبة في أن يغفر. أعتقد أنك تفهمين الظروف.

سألت جينا: «أي ظروف؟» على الأقل ربما عرفت سبب كره دانكن فرغسون.»

«إذا كنت لا تعرفين شيئاً، فلن أكون الشخص الذي يخبرك.»

قالت جينا: «سأعرف بالتأكيد، ولكن ليس من دانكن فرغسون، لما هو عليه من قسوة وكبرياء؟»

قال الطبيب: «قسوة! أجل. لكن هذا في الظاهر. سوف تجدين قلباً طيباً جداً تحت ستار هذه القسوة.»

قالت جينا بمرارة: «على الشخص أن يكون غبياً كي يحاول أن يكشف هذا الستار.» وأضافت وكأنها تقول لنفسها: «ومهما يكن، آمل أن لا أكون هذا الشخص الغبي.»

«لا أتمنى ذلك، يا آنسة. طالما أن صحتك ليست على ما يرام، فأنا أنصحك بالراحة.»

ترك الطبيب الغرفة، وبعد دقائق دخل دانكن فرغسون بعد أن قرع الباب. بدا أن عمره قريباً من الثانية أو الثالثة والثلاثين وليس ثمانية وثلاثين كما بدا لها الليلة الماضية.

تذكرت جينا أنها ألقت برأسها على كتفه الليلة الماضية. أحسَّت بأن الاحمرار يزحف إلى وجنتيها عندما رأته يتفحصها وهي على السرير. حاولت بجهد أن تزرر ثوب النوم الذي كانت ترتديه، ولكنها لا زالت تشعر بالألم كثيراً في يدها اليسرى.

قال لها بصوت مرتجف قليلاً: «دعيني أساعدك.»

أجابت جينا بنبرة جدية: «أفضل أن لا تفعل.»

«لا تكوني سخيفة. فأنت لست بتلميذة مدرسة خجولة.»

«هذا ليس خجلاً، ولكنه شيء خاص.»

أجاب قائلاً: «أنا مسرور لسماع هذا.» أبعد يديها، ولم تتمكن من ردعه من اصلاح ثوبها، وأحست بلمسة أصابعه الباردة على جسمها.

أزعجتها برودته، وخاصة شعورها بالخطر من أن يسيطر عليها. بدأ قلبها يخفق بطريقة مقلقة، متسائلة في ما إذا لاحظ ذلك. لحسن حظها انتهى من عمله الذي فرضه عليها. ثم ابتعد عنها.

قال: «لم يزعجك هذا كثيراً. أليس كذلك؟»

أجابت جينا بصوت فيه شيء من الخشونة: «شكراً لك.»

بنظرة عابسة ردَّ عليها: «بكل سرور.»

فما كان منها إلا أن قالت: «لا أعتقد بأن وجودي هنا يسرك كثيراً، ولكني سأريحك من هذا في أقرب فرصة ممكنة.»

«أنت تخططين للرحيل؟»

«بالطبع. فقد قررت أن أذهب حالاً، لكن الطبيب يعتقد بأن سوزي بحاجة للراحة اليوم.»

رد عليها باقتضاب: «أعتقد أن شفاءها سوف يأخذ أكثر من يوم واحد. إصابتها بليغة جداً.»

«نعم، أعرف هذا، لكني أعرف سوزي، سوف تكون كبرعم متلألىء في الصباح.» قالت هذا الكلام وهي تتمنى ضمناً أن تكون محقة.

أجاب: «ربما نعم... وربما لا.» ثم نظر إليها ثانية وقال: «هل نمت جيداً؟»

«نعم، بما فيه الكفاية.» رفع خصلة من شعرها عن وجنتيها، أحست بالدفء يزداد شيئاً فشيئاً عندما لمسها. تعجبت من نفسها كيف تجاوبت معه، وهي التي وضعت

الرجال خارج نطاق حياتها. وبالإضافة إلى أن نظراته المتجهمة الصارمة التي ليست من النوع الذي تفضله.

لطالما أعجبت بالرجال غير كثيفي الشعر مثل مارتن... ثم بدأت تتذكر. لقد مرَّ زمن طويل منذ أن سمحت لنفسها بالتفكير في مارتن. لا ريب أن قوة إرادتها قد ضعفت بسبب صدمة الليلة الماضية.

أعاد دانكن فرغسون الذي كان يراقبها بعينيه الباردتين انتباهها ثانية، وتساءلت لماذا هو دائماً واثق من نفسه؟

كانت مسرورة لوجوده ليلة البارحة، في مكان الحادث.

قالت جينا: «لم أشكرك بعد على ما فعلته ليلة البارحة، لا أعلم ماذا كان قد حدث لو لم تأت إلى مكان الحادث لإنقاذنا.»

رد عليها مشاركها الرأي: «وأنا لا أعلم أيضاً، وأريد أن ألفت انتباهك من جديد على حماقتك لاختيارك تلك الطريق.»

أجابت بروح معنوية عالية: «شكراً لله على أي حال. مرة واحدة تكفي لكي نتعلم.»

«أرجو أن تكوني قد تعلمت من هذا الدرس.» وعلى الرغم من كلامه القاسي فقد أدهشها بابتسامته التي أنارت ملامحه وجعلته يبدو وسيماً.

أحسّت جينا بنبضات قلبها وباشمئزاز من نفسها.

إنها لم تشك في أنه لو حاول أن يكون لطيفاً قليلاً، لما وجد أي صعوبة في جذب الجنس الآخر إليه. ولكن الليلة الماضية كان فظاً. هناك شيء ما بداخلها يحثها على أن تكون حذرة منه.

تساءلت بينها وبين نفسها عمّ يمكن أن يكون بينه وبين

خالتها وابن خالتها. يظهر أن بينهما خلافاً عميقاً جداً، أوصل الكره بينهما إلى هذا الحد. لكن ربما يكون خلافاً نتيجة سوء تفاهم وقد يزول بسرعة، أو ربما هو ثأر قديم لا يزال يؤثر على الحاضر.

سألته جينا: «هل تمانع في أن أخابر خالتي بالهاتف لاحقاً؟»

بدا عليه الإنزعاج وقال: «تكلمت مع خالتك هذا الصباح وحمّلتها المسؤولية.»

اعترضت جينا: «هذا ليس عدلاً، فهي ليست مسؤولة عن وجود تلك الصخرة الكبيرة في الطريق.»

لمعت عيناه بغضب عندما لمح نظرتها الحاقدة فأمسك بذراعها وقال: «الظاهر أن لديك ميلاً للمشاجرة، أهذا ما أخبرتك إياه؟»

«إذا كنت تعني خالتي وابنها فهما لم يخبراني بأي شيء. فليس لديّ أية فكرة عن هذا الأمر، ولا أهتم أبداً.»

«إذن أنت نموذج للفتاة الأنانية، التي لا تهتم لشيء...»

ازداد ضغطه على ذراعها شيئاً فشيئاً حتى صرخت من الألم: «اللعنة عليك! دعني أذهب.»

تغيرت ملامحه فجأة وخفف تدريجياً الضغط ثم قال بصوت مليء بالقسوة: «أنا آسف، لم يكن من الضروري أن يحصل هذا.»

نهض فجأة وتوجه نحو النافذة وراح يحملق إلى الخارج متأملاً.

بادرته قائلة: «أعتقد أنه من الأفضل أن نرحل أنا وسوزي هذا الصباح. وإذا كنت لا تستطيع نقلنا، فغلينري ليست على

القاطع الآخر من الأرض. أستطيع أن أطلب من ابن خالتي، ستيوارت، أن يأتي ويأخذنا، وأنا متأكدة أنه لن يمانع أبداً.»

انتظرت جينا ردة فعله بينما كان يراوح حول الغرفة.

«ستيوارت أندرسون يعلم جيداً بأن من الأفضل له أن لا يأتي إلى هنا.»

نظرت إليه وهي تسأل نفسها. ما الذي فعله ستيوارت لدانكن، حتى يعتريه هذا الغضب الشديد؟ لكن من المؤكد، أنه من الصعب على دانكن فرغسون أن ينسى بسهولة.

أخيراً تفوهت جينا: «في هذه الحالة، ليس عليه أن يأتي إلى هذا المنزل، لكنه يستطيع أن يأخذنا عن الطريق. ننتظره في أي وقت، ثم يأتي ويأخذنا.»

أجاب دانكن بكل هدوء: «لا حاجة لذلك.» وهناك تعجبت جينا كيف أن ملامح الغضب على وجهه قد تغيرت كلياً. واستطرد: «سآخذكما بنفسي، ولكن ليس اليوم. لأن لدي عملاً والطبيب أمر لكما بالراحة.»

اعترضت جينا: «لكن هذا سخيف! أستطيع أن أرتاح في منزل خالتي، إذا كنت بحاجة للراحة، ولكني على ما يرام.»

اقترب منها وجلس بجانبها على السرير وسألها: «هل أنت فعلاً كذلك؟ هل نظرت إلى نفسك في المرآة هذا الصباح؟ أنت تبدين كالشبح.»

أحسّت بشيء من العاطفة على وجهه، ولكنها أبعدت هذه الفكرة من رأسها لأنها ربما تكون مخطئة.

أخذ يداعب وجنتيها بأصابعه. سحرتها نظرته الحادة. ولمسته ألهبت فيها ناراً، منعتها من الكلام.

قال لها: «بشرتك دافئة... وناعمة كالحرير.» وأخذ يقترب

منها، فيما هي بدأت تشعر بأن قربه منها يسلبها السيطرة على نفسها. حاولت أن تبتعد عنه، لكن يدها التي كانت تؤلمها منعتها من ذلك. وما أن أحسّت بحركة يديه على رداء النوم حتى عادت إلى رشدها. فتحت عينيها اللتين التقتا بعينيه. عانقها، حاولت أن تقاومه بحركة بطيئة، لكنه سيطر عليها بيديه حتى أجبرها على الاستسلام له.

فجأة، وبحركة غاضبة اجفلتها، قفز واقفاً وحملق بوجهها وكأنها هي التي كانت تحاول أن تراوده، مما جعلها تشعر بالخزي.

قالت بصوت خافت: «لماذا فعلت هذا؟»

عاد ولامس وجنتيها بكل رقةٍ وقال: «ربما، لأنه موقف شاعري.»

ردت عليه: «موقف شاعري لمن؟» ابتعد باتجاه النافذة تاركاً جينا غارقة باحساسها بالخجل والمهانة لتجاوبها الجريء معه.

سألته بكآبة: «كيف وأنت تكره عائلتي؟ هل الانتقام من عائلة أندرسون عن طريق امرأة عاجزة، يشفي غليلك؟»

بدا لها وجهه شاحباً. التفت إليها وبادرها قائلاً: «لا، ليس من امرأة عاجزة. فأنا في كل حياتي لم أقابل امرأة عاجزة بالفعل.»

عاد يتأملها من جديد ويقول: «النساء لديهن سلاح فتاك. ولحسن حظ الرجال، القليلات من النساء يعرفن كيف يستخدمن هذا السلاح بطريقة مؤثرة وفعالة.»

نظرت إليه جينا وقالت: «القليل من النساء الشريفات، يفعلن ذلك.»

سأل وكأنه يوجه سؤاله إلى نفسه: «هل ما تزال توجد سيدة من هذا النوع؟»

تعب من هذا النقاش، حاول أن يلمسها بيديه. فما كان منها إلا أن أبعدت يده عنها وتراجعت إلى الوراء قائلة: «لا تتجرأ على لمسي.»

«لا تتحديني، يا صغيرتي البرية. أنت من دون حماية فلا تطلقي تهديدات فارغة. برأيي إن كل ما تحتاجينه هو أن ألقنك درساً آخر.»

حملقت جينا به مذعورة وقالت: «ما أحتاجه فعلاً هو أن ترحل عني. كان يجب أن أعلم بأن الضيوف غير المرغوب فيهم مجبرون على المجاملة. هل هذا تقليد اسكتلندي، أن تعامل ضيوفك النساء وكأنهن دُمى؟»

«بالطبع أنت على حق. أنا أتصرف بطريقة سيئة. ويظهر أن الإثارة هي ميزة تتحلون بها، يا عائلة أندرسون.»

ردت عليه مذكرة إياه: «اسمي هو وايلد، وليس أندرسون. وأنا آسفة بأني لا أستطيع أن أجيب عن خالتي. أو ابن خالتي، ولكن بالنسبة لي، سأهتم بأن لا أثير أي نوع من المشاعر فيك.»

أجاب جينا بعد أن عاد لونه إلى طبيعته قائلاً: «سوف أكون متشوقاً لأرى كيف ستقومين بهذا.»

اندفعت قائلة: «سيكون ذلك بتجنب رفقتك تماماً في المستقبل، وأنا متأكدة من أنه لن تثار أي مشكلة.»

رد بلهجة ساخرة: «أنت تدهشينني.»

ما كان منها إلا أن سألته بطريقة تهكمية: «هل أستطيع أن أترك السرير؟ أعتقد بأني لن أصاب بأذى، فأنت تعرف بأن

معصمي فقط، الذي أصيب، ولم يلحق أي أذى بساقيَّ.»

أزاحت الغطاء بعيداً وحاولت أن تنهض عن السرير.

قال لها بسخرية: «سأرى.» ثم ركز نظره على ساقيها وضحك عندما حاولت أن تغطيهما بردائها، وتراجعت إلى السرير وتدثرت.

قالت بكل كبرياء: «سوف أنهض عن السرير عندما ترحل، وبعد ذلك سآخذ سوزي، وإذا اضطررنا سنمشي على أقدامنا حتى غلينري.»

رد عليها ضاحكاً: «بأقدام عارية، وأنت مرتدية ثوب آني هذا؟ لقد نصح الطبيب ماكراي بأن ترتاحا. من ناحية نعطي وقتاً لمعصمك كي يتعافى والأهم من ذلك هو أنه من المحتمل، أن شقيقتك تعاني من ارتجاج في الدماغ. وتحتاج إلى وقت كي نتأكد من ذلك.»

اصفر وجه جينا: «ارتجاج في الدماغ! وهل ستكون بخير؟»

رد عليها وهو يداعب شعرها الأشعث: «أنا أكيد بأنها ستكون بخير. فأنتما قد تعرضتما لصدمة قوية، فلماذا لا تأخذان قسطاً من الراحة؟»

«أريد أن أرى سوزي بنفسي. فربما هي مضطربة وتتساءل عن مكاني.»

«أؤكد لك بأن شقيقتك في حالة جيدة. وسترينها لاحقاً.»

أرجعها إلى الوراء بثبات: «ستحضر آني طعام الفطور بعد دقيقة أو دقيقتين.» وبضحكة ساخرة أضاف: «وإن لم أكن مخطئاً، سوف تحضر لك الكثير من العصيدة لتستعيدي قوتك من جديد.»

تمتمت جينا قائلة: «سآكل الكثير من الطعام، إذا كان هذا كفيلاً في أن يخرجني من هنا.»

رد دانكن عليها بلهجة ساخرة: «سوف نرى إذا كان ذلك سيجديك نفعاً.»

لم يغب عن بال جينا كلامه المليء بالمرارة. فهو لا يريدها هنا، فلماذا يُصرّ على ابقائها؟ أهذا نوع من التعذيب؟ جزء من الانتقام من عائلتها؟ أحسّت جينا بارتياح عندما فُتح الباب وظهرت امرأة تحمل صينية مليئة بالطعام. قال دانكن مبتسماً بطريقة غير متوقعة: «ها هي آني. مع طعامها الذي يطعم كتيبة جائعة بحالها.»

نظرت آني إلى جينا وقالت: «كيف تشعرين الآن؟»

«أشعر بتحسن.» وقف دانكن يراقب وهو يضع يديه في جيبي سروال الفروسية الذي كان يرتديه، وقد بدا وسيماً لجينا.

نظرت آني إليه بحدة وسألت: «ماذا تفعل هنا؟»

أجاب فيما كان ينظر إلى جينا: «أتيت لأقدم المساعدة، ولكنني لم أعامل بلطف.»

خاطبته جينا قائلة: «عندما ترى الوقت مناسباً لإحضار حقيبتي سوف أرتدي بعضاً من ملابسي.»

حملق فيها ببرود وقال: «عفواً. حقائبك ما تزال في السيارة. فالبارحة كنت مشغولاً جداً بشقيقتك، ولم أجد وقتاً لأضيعه بهذه الأشياء، ولكن إذا كان لديَّ الوقت الكافي اليوم، فسوف أحضرها لك.»

أجابته بكل لطف: «أنت لطيف جداً.»

رد عليها وهو يرفع حاجبه بشكل ساخر: «أستطيع أن أكون كذلك، ولكن فقط للأشياء القيّمة.»

قالت بكل غيظ: «وحسب ما أعتقد، أنا لست كذلك.» لماذا أخذت الطعم بسهولة. «إني أكرهك.»

«أنت لست أول من كرهني في عائلتك، ولكن سأحاول أن لا أتأثر بذلك.»

التفت إلى آني وقال لها: «ضيفتنا هي ابنة أخت لويز أندرسون، وستبقى هنا إلى أن تستعيد عافيتها. رحّبي بها جيداً.»

بدت الصدمة على وجه آني، متلفتة يميناً ويساراً، غير مصدقة. بدا عليه السرور وهو يراقب ردة فعلها الصامتة. وعند الباب نظر إلى جينا من فوق كتفه. «إذا كنت حقاً تريدين الرحيل، كُلي جيداً واستعيدي قوتك.»

شعرت أنه يؤكد على كلمة حقاً وكأنه يحاول أن يفهمها بأنه مدرك أنه قد أثّر عليها، فامتلأت غيظاً.

سألت بغضب عندما رحل: «آني، ما قصة هذا الرجل؟ لماذا يكره عائلة أندرسون كثيراً؟»

هزت آني كتفيها ثم قالت: «ليس من حقي أن أقول لك.» ثم أخذت الوسادة ووضعتها وراء ظهر جينا وقالت: «كما قال السيد دانكن: «عليك أن تأكلي.»»

قالت جينا بغضب شديد: «كل ما أريد هو أن أصل إلى غلينري. وعندما أفعل أرجو أن لا أرى دانكن فرغسون ثانية.» قالت آني: بابتسامة غريبة «عزيزتي، غلينري هي مكان صغير، ولا يستطيع أي جار إلا أن يلتقي بجاره... عاجلاً أم آجلاً.»

الفصل الثالث

كانت جينا تجلس إلى النافذة على كرسي حيث باستطاعتها أن تنظر إلى الخارج. كان مشهداً خلاباً جداً.

بدت الحديقة وكأنها مرج طبيعي يمتد إلى مسافة بعيدة. ورأت من مكانها إلى النافذة، أن البيت يقع على مرتفع. تنتهي الحديقة إلى منحدر يؤدي إلى الوادي، حيث يجرى بعيداً، نهر يتلوى مثل الأفعى بين التلال.

بدا الريف الاسكتلندي، الليلة الماضية، حالكاً. أما الآن وتحت ضوء الشمس الساطعة، بدت الطبيعة ساحرة، ملأت جينا بأحاسيس غريبة وكئيبة، لم تعرف كنهها وأطلقت العنان لخيالها.

لم يكن من الصعب عليها أن تفهم لماذا يفتخر الاسكتلنديون ببلادهم. الجبال التي تظهر زرقاء مشوشة، شكّلت خلفية للوادي الأخضر الرائع.

لم تر دانكن فرغسون منذ تثبيت الأزرار عند ذلك الصباح. على الرغم من الحاحه عليها بالبقاء، لم يكلّف نفسه عناء القدوم كي يتأكد من أنها على ما يرام. أزعجها أنه يعتبر أن خضوعها له، هو أمر مسلم به. ولكنها لم تستغرب هذا، فلم يكن باستطاعتها أن تفعل شيئاً نظراً لضعفها.

لكن ضعفها لم يكن عائقاً في أن تذهب لرؤية شقيقتها. عضّت على شفتيها، عندما رأت وجه شقيقتها الصغير الشاحب وأثر الصدمة على رأسها.

سألت جينا المرأة التي كانت تجلس بقرب شقيقتها على السرير، تقرأ من كتاب للصغار: «هل أنت متأكدة من أنها بصحة جيدة؟»

أجابت المرأة: «إذا أخذنا شهيتها للطعام بعين الاعتبار، فهي على ما يرام.»

ابتسمت جينا بحزن. على الرغم من نحول شقيقتها، كانت تتعجب دائماً من شهيتها القوية للطعام. فإذا كانت ما تزال تأكل جيداً، فهذا يعني أن لا داعي للخوف.

سألت جينا وهي تقبل شقيقتها: «كيف حالك، يا صغيرتي؟»

ردت سوزي بكل حماس: «أنا بخير، وعندما أتحسن أكثر سوف يأخذني دانكن لزيارة الاسطبلات.»

استغربت جينا كيف أن شقيقتها تتلفظ باسم مضيفهما بهذه السهولة.

أجابت وقد تأثرت بلطفه تجاه شقيقتها: «حسناً، هذا لطف منه.» وبكل وضوح، فإن عداءه لم يطال الأطفال، حتى أولئك الذين من عائلة أندرسون. هذه نقطة إلى جانبه.

أردفت سوزي: «لقد أحضر أليكس، الذي يعمل في الاسطبلات ليقابلني هنا. قال إنه إذا شفيت بسرعة سوف يجعلني أمتطي بيلا وهي أفضل فرس في الاسطبل.»

رجعت جينا إلى غرفتها، أدركت أن دانكن فرغسون وجد طريقة لاقناع سوزي بالبقاء سعيدة على السرير. هل اعتقد بأنه حقق الشيء نفسه معها؟ فلا يعتقدن بأنها ستبقى قابعة في هذا المكان لساعات طويلة.

اصبحت جينا في فترة بعد الظهر مستعدة لاقتراف جريمة. اقتربت من النافذة لتنظر من خلالها، لعل هذا يخفف من غضبها. وفي غضون وقت قصير، هدأ المنظر الخلاب من روعها قليلاً. ولكن مع مرور الوقت تأجج غضبها ببطء ثانية. في مكان ما، كانت الكلاب تنبح، وكانت لديها رغبة شديدة للخروج.

فيما كانت تنظر من النافذة، لمحت فسحة مرصوفة قريبة من المنزل، ولمحت وميضاً أبيض تحرك برقة، وتبينت وجود طاولة صغيرة. آه، إنها الآن تتمنى الاسترخاء مع الهواء المنعش وكوب من الشاي.

عادت تتأجج غضباً، خرجت من غرفتها إلى الرواق. تردّدت وهي تنظر إلى الثوب الواسع الذي كانت ترتديه، فرأت أنه من غير المناسب أن تتجول في منزل شخص غريب وهي ترتدي هذا الثوب وفي هذا الوقت من بعد الظهر.

فكرت جينا أن تعود أدراجها. تنتظر صعود آني إليها حاملة الشاي، ولكنها عادت وقررت خلاف ذلك. على كل حال، الخطأ ليس خطأها، فليس لديها ثياب، وبقاؤها من دون ثياب هو جزء من خطة فرغسون لكي يبقيها مسجونة في غرفتها، لكنها لن تجعله يتمادى بذلك. فعليها أن تذهب وتجد آني، وتطلب منها إحضار حقائبها أو بعضاً من ملابسها.

أكملت مسيرها في الرواق بعد تردد، وعندما وصلت إلى آخره لمحت غرفة تحتوي رفوفاً من الكتب. كانت الغرفة خالية تقريباً، ولكن ذلك لم يحد من فضول جينا، فدخلتها.

سمعت فجأة صوتاً أخافها: «هل تبحثين عن شيء؟»

كان قريباً جداً منها فالتفتت إليه وهي تشعر بوهنٍ مفاجيء.

«اجلسي قبل أن تسقطي.»

أشار إلى كرسي جلدي. فجلست بإرادتها، تراقبه وهو على كرسيّ مقابل لها.

سأل دانكن: «هل تبحثين عن شيء بالتحديد؟»

حاولت جينا أن تبقي صوتها هادئاً: «لا. لكني معجبة ببيتك فقط. لقد وجدته رائعاً.»

رد عليها: «ربما تجدينه أقل روعة إذا اضطررت للسكنى فيه.»

هزت رأسها قائلة: «لا أعتقد كذلك. فأنا أحب البيوت القديمة، وجدرانها السميكة، وأماكنها السرية. وهذا البيت له تاريخ. أنا أكره البيوت الصغيرة التي هي كالعلب مثل المنزل الذي نقيم فيه الآن...»

نظر إليها نظرة خالية من أي حقدٍ ثم رد عليها ببطء: «حسناً، بما أنك تحبينه كثيراً. فربما تفقدته بنفسك يوماً، عندما تشعرين بتحسن.»

فكرت جينا في ما إذا كان هذا وعداً، أم انه مجرد جواب مهذب. وردت عليه: «شكراً، أحب ذلك.»

وقف واقترب منها ليساعدها على النهوض. فنهضت وهي تشعر بدفء يده.

قال لها: «والآن أعتقد بأنه عليك أن تتوقفي عن البحث وتعودي إلى فراشك.»

التقت عيناها المليئتان بخيبة الأمل بعينيه وقالت: «أنا

متعبة من البقاء في السرير: «أنا لست مريضة، ولا أريدك أن تتظاهر بأني كذلك.»

«اتظاهر؟ يا لغرابة ما تقولين. فأنا بكل بساطة أحاول أن أؤكد عليك بأن تتبعي نصيحة الطبيب ماكراي وذلك بأن ترتاحي ليومين.»

ردت عليه بسخرية: «شكراً لاهتمامك. لقد ارتحت بما فيه الكفاية، وأنا في طريقي الآن لأتناول الشاي... خارجاً.»

وقف ينظر إليها ثم قال لها بسخرية: «وأنت ترتدين كهذا؟»

أجابت بحدة: «إن الخطأ هو خطأك لارتدائي هذ الثوب. وأنا أصر على أن تدعني أحصل على حقائبي وثيابي.»

تمعّن في وجهها المتأجج غضباً وقال: «أعتقد أنك تملكين عصبية الصهباوات.» لقد كان يعلم أن لديه القدرة على إذابة مقاومتها.

حاولت جينا، بتأثير من غضبها الشديد، أن تصفعه بيدها، إلا أنه أمسك معصمها بسهولة، وحاولت أن تقاومه لكنه قبّل يدها. قال بنعومة: «لا أستطيع أن أتمالك نفسي عندما تبدين بكل جمالك. شاحبة ومذعورة... متأججة غضباً، تماماً كما أنت الآن.»

قالت له بصخب: «أنت قاسٍ... وحقير... جبان! لاستغلالك...»

فما كان منه إلا أن أنهى جملتها: «امرأة بائسة!» عانقها من دون أي مقدمات وحاولت جينا أن تقاومه.

فوجئت به فهو ليس بارداً كما كان يتظاهر، ثم تجاوبت معه.

كان هو الذي توقف. أبعدها عنه بكل لطف وبطريقة غريبة، ثم قال: «لم أستطع أن أدعك تستمرين في أذيتي، لقد أجبرت على أن أنقذك من نفسك.»

نظرت إليه بتحدٍ وقالت: «هل عليك دائماً أن تجد عذراً لمعانقتي؟ هل أنت خائف من أن أظن بأنك تستمتع بذلك؟»

تعرف أنه ليس من نوع الرجل الذي تستطيع أن تتلاعب به، ولكنها سمحت لنفسها بأن تستمتع بلحظة انتصار.

«أنت عنيفة وجميلة في آنٍ معاً.»

قالت بحدة ظاهرة: «لا تتملقني، يا سيد فرغسون.»

«أتملقك، أكان ذلك تملقاً؟ لقد اعتقدت أنه مجرد تقدير.»

قاطعته قائلة: «ربما ينفع السحر مع سوزي، ولكنك لن تجدني سهلة كي تفتنني.»

نظر إليها نظرة سخرية وقال لها: «لا آمل ذلك.»

انسحبت جينا وهي تقول: «سأعود إلى غرفتي لأنتظر، وسأكون مسرورة إذا أرسلت لي حقائبي. وإذا لم أحصل على ملابسي في خلال عشر دقائق، فسوف أخرج كما أنا لأشرب الشاي في الحديقة.»

انفجر ضاحكاً مما جعلها تصر على أسنانها من الغيظ.

قال لها: «هذا وضع سوف استمتع به حقاً.»

قالت ببرودة: «ولكن لا أحد من أقربائي سوف يستمتع بسماع هذا عندما أذهب إلى غلينري.»

ظهرت القسوة على وجهه وقال: «هل من المفترض أن آخذ هذا التلميح على أنه تهديد؟»

وجدت نفسها متعبة جداً من الصراع للتغلب عليه.

ردت عليه قائلة: «للحقيقة إني تعبت من هذه اللعبة التي تلعبها. أحضر لي ثيابي فقط.»

قال لها بإيماءة فيها شيء من الهجومية: «سأفعل ما بوسعي، وسأخبر آني بأن تتوقع حضورك لشرب الشاي.»

سمعت أصواتاً فيما هي تهبط السلالم إلى الردهة. تبعت مصدر الأصوات، وقادها ذلك إلى غرفة جلوس رائعة، مشرقة بالنور الذي يدخل من خلال نافذتين كبيرتين مصممتين على الطراز الفرنسي.

كانت آني قد أتت إلى غرفتها يرافقها فتى ذو شعر أحمر حاملاً حقيبة جينا.

أمرت آني الفتى قائلة: «انزل الحقيبة، يا أليكس.» أطاعها ووضع الحقيبة بجانب السرير.

نظرت جينا إليه باهتمام، بنظرة خجولة، قبل أن يرحل. إذن هذا هو صديق سوزي الجديد.

قالت آني: «سأنتظرك لشرب الشاي، ولكن لا تتأخري كثيراً.»

اختارت جينا رداء ذا لون بنفسجي، ثم أخذت تهتم بوضع الماكياج. فهي تريد أن تفهم دانكن بأنها مختلفة تماماً عن تلك المرأة التي أحضرها إلى منزله الليلة الماضية.

كانت ما تزال تتبع الأصوات المتناهية إلى سمعها، فقادتها إلى الخارج. عرفت صوت دانكن فوراً، لكنها فوجئت بسماع صوت نسائي يرافق صوته. ترددت وشعرت بقلق. أيمكن أن تكون امرأة من عائلته؟ أمه؟ زوجته! ولسبب ما شعرت بشيء لم تستطع ادراكه. وقد رغبت بأن تتراجع،

ولكنها أجبرت نفسها وبكل تصميم على إكمال طريقها إلى الحديقة.

التفت كلاهما إليها، ومباشرة لاحظت جينا جمال وجه تلك المرأة وشعرها الأحمر الداكن.

انتصب دانكن، من على كرسيه، واقفاً وقال: «أوه! آنسة وايلد.» وما أن جلست جينا حتى تابع دانكن كلامه قائلاً: «أقدم لك ماريان تيسون. وبما أنها شريكة ابن خالتك في المدرسة، فأنا أعتقد بأن كل واحدة منكما ستعرف الكثير عن الأخرى.»

«أوه!» من المستحيل أن لا تندهش. إذاً، ليس من الضرورة أن كل شخص له علاقة بعائلة أندرسون عليه أن يكون ضحية انتقامه.

نظرت جينا إلى الفتاة بفضول مستتر. لم يخبرها أحد بأن ستيوارت له شريكة، وحتى لو أخبرها، فهي لم تكن لتتخيل بأن تكون هذه الفتاة اللطيفة الممددة على هذه الكرسي. أما ماريان فقد شملتها بنظرتها من رأسها حتى أخمص قدميها. ثم استدارت ببطء وقالت: «هكذا إذن. هذه ابنة الخالة، جينا العزيزة. لقد كانت لويز مضطربة، لكن متأكدة بأنك تهتم بها جيداً.»

بدا دانكن مندهشاً وقال: «ماريان، أنت تظهرين أنيابك.»

أجابت بابتسامة عريضة: «هذا هراء. فأنا هنا لأمد يد الصداقة.» ثم التفتت إلى جينا وقالت: «أنا متأكدة بأنك تتوقين لرؤية خالتك. وسأكون مسرورة جداً إذا أخذتك إلى المدرسة. طبعاً إذا كانت حالتك الصحية تسمح بأن تذهبي.»

قبل أن تُسنح الفرصة لجينا لكي تجيب، بادر دانكن

قائلاً: «كما أوضحت لك، يا ماريان، هذا ليس ضرورياً. جينا ستبقى هنا إلى أن يزورها الطبيب ثانية. وهذا سيكون في الغد، وسنرى ما سيقول.»

هزت ماريان كتفيها غير مبالية، وهي تحدق بعينيها الخضراوين وقد بدا عليها الغضب جلياً: «تصرف كما يحلو لك.»

ليس من حق دانكن فرغسون أن يجيب عنها، ولكن عليها أن تتحمل ذلك بامتعاض لكي لا تخبره بهذا أمام زائرته.

لكن تعابير ماريان كانت تدل بوضوح على أنها لم تفهم لماذا يصر دانكن على ابقاء جينا في منزله. وبكل لطافة قالت ماريان. «أعتقد بأنه ربما يسمح لك بأن تحتفظ برهينتك الصغيرة لفترة أطول.» وتابعت ماريان ضاحكة: «بما أنها، على ما يبدو، تعني لك الكثير، لكن لا تبقها كثيراً، فستيوارت سيفقد صبره وهو ينتظر إبنة خالته على أحر من الجمر.»

قال دانكن بغضب ظاهر: «ماريان، لقد حذرتك من قبل بأن لا تؤججي النار.»

تراجعت ماريان إلى الوراء ضاحكة: «آه، السلام، يا عزيزي، فأنت تعرف من أنا.»

أجاب بامتعاض: «أنت حسنة لدرجة كبيرة، ولكن يوماً ما سترحلين بعيداً جداً.»

بدا على ماريان أنها تأثرت بتوتر، وشيء ما جعل جينا تشعر بأنهما أكثر من مجرد جارين.

هزت ماريان كتفيها بغير اكتراث وقالت: «أنا جدية، يا عزيزي، لويز أندرسون لديها خطط من أجل جينا. ولا أعتقد

بأنها من نوعية ستيوارت، ولا حتى من نوعيتك أنت أيضاً. وذلك بالنسبة لتلك المسألة.»

قال دانكن بغضب واضح: «ومنذ متى تتحملين مسؤولية ذاك الموضوع؟ وتزودينني بهذه القصص الخرافية.»

ضحكت ماريان وقالت: «حسناً، فإذا كنت لا تريد أن تعرف ماذا في ذهن لويز فلن أخبرك.»

رد دانكن قائلاً: «أعتقد بأن لويز كانت دائماً تعي محور اهتمامه، على الرغم من حقيقة أنه ليس من دمها. لقد كان من الأفضل لو أنها تركته يرحل، بدلاً من...» ثم تنهد بتوتر ظاهر: «اللعنة عليه! فطالما هو موجود هنا فهو سيذكرني بـ...»

وضعت ماريان يدها على يده محاولة تهدئته وقالت: «دانكن، لقد كان مجرد حادث. وربما حان الوقت لتدفن الماضي. أنت لا تستطيع أن تعيش مع شبح إلى الأبد.» أبعدها عنه بحركة مفاجئة وقال: «سوف أعيش بالطريقة التي تحلو لي. ألم تقولي بأنك على عجلة من أمرك وسترحلين؟»

استدار ومشى بعيداً، ونهضت ماريان وتبعته، تاركين جينا تتساءل عن كل ما سمعته.

دخلت آني بالشاي مستغربة رؤية جينا وحيدة.

«ألا يريد السيد دانكن أن يتناول الشاي؟»

«لا أدري.»

أخذت جينا تعبث بالطعام الموجود على الطبق وما يزال مشهد ما حصل يدور في دماغها فيما تحاول أن تستوعب ما قيل. تناولت طعامها ونهضت، حين أحسّت بتعب

مفاجيء. وبدا لها أن غرفتها، بسريرها المريح أفضل مكان لها الآن.

في القاعة، تسمّرت جينا وتراجعت قليلاً إلى زاوية معزولة. لقد كان دانكن وماريان هناك. وكان يدير لها ظهره، ولكن بدا لها وجه ماريان واضحاً وهي تنظر إلى دانكن بابتسامة كلها اغراء.

كانت يدا دانكن تحيطان بخصرها ولا يبدو عليه أي شعور بالعاطفة، ولكن ماريان اقتربت منه أكثر، ووضعت ذراعيها حول رقبته، واقتربت منه بتردد للحظة، وبعد ذلك عانقها.

لم يلاحظا جينا عندما مرت بسرعة وصعدت الدرج.

رجعت جينا إلى غرفتها، واستلقت على السرير محملقة في سقف الغرفة. فقد كان الغضب واضحاً عليها. منذ ساعة فقط كانت هي بين ذراعيه، حيث تخيلت أنها قد حرّكت فيه شعوراً غير عادي. الآن، فهو بين ذراعي ماريان. إنها متأكدة من أنهما حبيبان.

لكن جينا أرادت أن تعرف لماذا بان عليه بأنه يريد الإنتقام؟ لماذا أراد الانتقام؟ لقد أرادت أن تعرف، ولكن بدا أنه من غير الممكن أن تعرف أي شيء في هذا البيت، وتساءلت إذا ما كان هناك أحد ما، في غلينري يخبرها؟

لقد كان من الممكن أن تعرف ما حصل بين دانكن فرغسون وابن خالتها ستيوارت أندرسون، ولكنها فكرت بأنه على كل الأحوال، عندما تبتعد عن هذا البيت، لن يعود هناك أي مشكلة. وعلى الرغم من تأكيد آني بأن جينا ستلتقي بدانكن فرغسون مرة ثانية، فمن غير الممكن أن

يبحث عنها ليكمل انتقامه، وستفعل ما بوسعها لتتجنبه. من المفترض أن تشعرها هذه الأفكار بالراحة، ولكن بدلاً من ذلك شعرت بالألم والقلق.

بعد ذلك صعدت آني بدعوة من دانكن إلى جينا لتناول العشاء معه، لكن جينا رفضت، معللة ذلك بألم في رأسها. وعندما اعترضت آني على ذلك، أحست جينا بالذنب. لقد كرهت نفسها بسبب كذبها، ولكنها ارتاحت لعدم مواجهة دانكن ثانية.

لكن هذا الارتياح تحول إلى وحدة بعدما استسلمت سوزي للنوم. لقد زحف المساء هادئاً ومملاً. بالطبع آني بلّغت اعتذارها لدانكن، وحتى أنه لم يزعج نفسه للتأكد مما إذا كانت بخير أم لا.

أخيراً صعدت آني مخبرة جينا بأن دانكن خرج لتناول العشاء بدلاً من تناوله في البيت وحيداً. وتساءلت جينا ما إذا كان قد ذهب إلى ماريان أم لا.

بقيت مستيقظة لساعات على فراشها، تفكر بكل شيء وتتساءل، عما ستقول خالتها عنها.

ربما ماريان هي من أتباع خالتها، وقد أرسلتها لتعرف وضعها وذلك بسبب العداء بين العائلتين. وتساءلت عما قد تفعل خالتها مقابل رفض دانكن لرحيلها.

من الممكن أن تكون خالتها قد ندمت على دعوة ابنتي أختها إلى اسكتلندا لتمضية الصيف عندها. أو ربما تكون سعيدة لاستبقاء دانكن لهما.

لويز أندرسون لم تر جينا منذ كانت صغيرة حتى الآن،

ولم تقابل سوزي قط. فهي شقيقة والدة جينا، وعندما توفّى والداها منذ سنة نتيجة لحادث مأساوي بعثت لويز برسالة اعتذار لعدم مقدرتها حضور الجنازة وذلك بسبب سقوطها عن الحصان، حيث نتج عن ذلك بعض الكسور. وقد ردّت جينا على رسالتها، وهكذا بقيتا على اتصال.

لقد كانت سنة صعبة جداً. فقد تحطمت سوزي لفقدانها والديها. وتُركت جينا تتحمل مسؤولية شقيقة عمرها ست سنوات، فوجدت صعوبة كبيرة للتوفيق بين حزنها وحاجتها لتأمين معيشتهما. وكونها مُدرسة في مدرسة ابتدائية خاصة، فقد سهل لها الأمر على أن تكون في البيت في الوقت نفسه مع سوزي. ونظراً لهذا الوضع المادي الضيق، لم يكن هناك امكانية في أن تمضيا أية عطلة بعيداً عن المنزل.

حدث بعد ذلك أن خسرت وظيفتها. مدير المدرسة كان متعاطفاً معها ولكن سوء الوضع المالي للمدرسة استدعى الاستغناء عن إحدى المدرّسات. وبما أنها كانت الأصغر بينهن وآخر من توظفت فقد أختيرت هي.

عندما أرسلت لويز رسالة تسأل فيها جينا إذا كانت تود أن تمضي الصيف في غلينري لتساعد ابن زوجها في إدارة مدرسة الفروسية، ظهرت وكأنها استجابة لدعاء.

قبل ذهابها إلى اسكتلندا، أرسلت عدة طلبات من أجل الحصول على وظيفة، ولكنها لم تستلم أي رد عليها.

لم تقابل جينا ستيوارت أندرسون من قبل. فخالتها لويز كانت قد فقدت زوجها وهي ما تزال صغيرة نوعاً ما، ومنذ ثمانية أعوام تزوجت من رجل أرمل وكان لديه ولد في سن

المراهقة، وذهبت لتعيش معه في اسكتلندا. بقيت لويز على اتصال بأختها مارغريت، والدة جينا، ولكنها لم تزرها ثانية.

لقد كان واضحاً من وصفها لستيوارت أندرسون، على أنها تعامله وكأنه ابنها بالفعل. والآن بعد أن أصبحت أرملة من جديد، فقد كرّست حياتها وطاقتها له. وهذا ما جعل دانكن فرغسون يشتد غيظاً.

تنهدت جينا وتساءلت عن حصيلة هذا الوضع القائم. فهل هذا سيؤدي إلى تحريك حقد أكبر بين العائلتين؟

بالطبع كان التنبؤ صعباً، وبدت جينا وكأنها غير قادرة على أن توقف هذا التفكير غير المثمر.

الفصل الرابع

كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، وجينا لا تزال مستيقظة. تنهدت، ثم فكرت بأن أفضل حل لها هو أن تحضر كتاباً من المكتبة، فانسحبت من فراشها وارتدت منزرها.

تحركت بهدوء، وتوجهت نحو الرواق حيث وجدت باب المكتبة مقفلاً.

وقفت حائرة تحاول أن تقرر، ارتداء ثياباً مناسبة لتخرج في جولة إلى الحديقة. ولكن فضولها دفعها إلى فتح أقرب باب صادفته. كانت غرفة صغيرة، والخزائن فيها مثبتة على بعض جدرانها من الأرض إلى السقف. وفي إحدى الزوايا، كانت مغسلة وفوقها مرآة دائرية الشكل.

لم تستطع مقاومة الاغراء في متابعة التحري أكثر فأكثر. فتحت باباً يقود إلى غرفة ثانية وأضاءت النور. إحتوت هذه الغرفة سريراً واحداً. كان أثاثها جميلاً. وقد بدا واضحاً بأن كل قطعة من هذا الأثاث قد اختيرت بعناية ورغبة. ظهرت وكأنها غرفة طفل صغير بوجود الصور الملونة التي كانت معلقة على جدرانها.

استدارت جينا لتترك المكان بعد أن شعرت بأنها دخيلة. وفجأة أحست بشيء ما على كتفها. وما أن همّت بالصراخ حتى شعرت بيدٍ تخنق همهمتها.

للحظة عجزت عن تمييز الوجه الذي رأته. ثم أبعد دانكن

WWW.REWITY.COM

فرغسون يده عن فمها ببطءٍ وتراجع قليلاً إلى الوراء.

«ماذا تفعلين هنا؟»

ارتجف جسد جينا كردة فعل على هذه الصدمة وقالت: «أنت... أنت أخفتني.» ومع نبضات قلبها المتسارعة سألت: «هل كان عليك أن تتسلل عليَّ بهذه الطريقة؟»

رد عليها بتوتر: «لقد أتيت إلى هنا متوقعاً أن أجد لصاً. فهل تعتقدين بأن عليَّ أن أعلن عن وجودي؟ هل أنت عادة تتجولين خلسة في بيوت الناس في الساعات الباكرة؟»

ردت جينا بإنزعاج: «بالطبع لا. لم أستطع أن أنام، فنهضت لأحضر كتاباً.»

ضحك ثم قال: «المكتبة هي في الطابق السفلي. وكنت هناك بعد الظهر... فهل تتذكرين؟»

أحست بدافع لإحناء رأسها، ولكنها قاومت هذا الدافع وأجبرت نفسها ومن دون تردد على النظر إلى عينيه اللتين تضمران العداء. وقالت: «كانت مقفلة، والفضول دفعني لأرى ماذا يوجد في هذه الغرفة.» وبكل تحدٍ تابعت: «لم أكن على علم بأن الفضول يعتبر جريمة.»

أجابها ببرود: «حسناً، وبما أنك علمتِ الآن، فهل اشبعت فضولك؟»

«لا. ليس بعد.»

لقد كان غاضباً جداً، ومن الجنون الاستمرار في الحديث، لكن جينا شعرت بأن هناك شيئاً يدفعها لتعرف. «هل هذه الغرفة لها أية علاقة بعدائك لابن خالتي؟»

وقف صامتاً للحظة، ثم خطا بإتجاهها، وقد لاحظت جينا شحوب وجهه. لقد ذكَّرها بذلك الشحوب الذي رأته على

وجهه، عندما شاهدته لأول مرة، من خلال نافذة السيارة.

«لقد تحرّيت بما فيه الكفاية هذه الليلة. وإذا لم تمانعي فأريد أن أنام.»

قالت له بتحدٍ واضح: «وأنا كذلك، لو استطعت النوم، لما كنت هنا لأعطيك فرصة لإظهار مثل هذا الحقد.»

كرر وهو يوجه إليها نظرة قاسية: «حقد! هذا ليس له أي علاقة بالحقد...»

«ما هو إذن؟ أنا أحب فعلاً أن أعلم.»

وضعت يدها على ذراعه من دون أي تفكير وقالت: «ربما، لو أخبرتني، أستطيع أن أتفهم. ربما يساعد، قليلاً، التحدث في هذا الموضوع، في تهدئة المشاعر.»

للحظة، التقت عيونهما... وما كان منه إلا أن أخذها بين ذراعيه بكل خشونة... وأخذ يعانقها، مما جعلها تكتشف إحساساً جديداً لم تشعر به من قبل.

استسلمت جينا لا ارادياً لعناقه، وأخذ توتره يزول شيئاً فشيئاً. ثم ابتعد عنها قليلاً وقال: «ماذا تمنحينني، أيتها المخلوقة البرية الصغيرة؟ هل تضحين بنفسك كالحمل الوديع؟»

نظرت بذهول إلى عينيه القاتمتين وقالت بحدة: «لا تكن سخيفاً. ولماذا بحق السماء عليَّ أن أضحي بنفسي؟»

«أخبريني أنتِ»

«هذه تفاهة.» والأسوأ من ذلك لم تعرف لماذا سمحت لنفسها بأن تتجاوب معه بهذه الطريقة. فهذا لم يحدث مع أي رجل من قبل... ولا حتى مع مارتن...

«ربما شعرت بالأسف...»

سألها بحدة: «شعرت بالشفقة... عليَّ؟ فهذا ليس ما أردته منك؟»

ثم غرز أصابعه في بشرتها.

صرخت قائلة: «إذن دعني أذهب، لأنني لا أشعر بأي شيءٍ آخر تجاهك.»

أجابها بسخرية: «أنت تكذبين، وكلانا يعرف هذا.»

تغير لون وجهها. فهو على حق. إذا لم تستطع أن تعبّر عن شعورها، فهل هذا يعني بأن هذا الشعور غير موجود؟ لقد شعرت بالاهانة وبأمل ضعيف في أن تجعله يفهم ما لم تستطع أن تفهمه بنفسها.

أحنى رأسه وشعرت بأنه يريد عناقها...

صرخت قائلة: «إذهب إلى الجحيم!»

ابتعدت عنه بكل قوتها لتذهب إلى غرفتها، ولكنها تعثرت فجأة وكادت تقع من أعلى الدرج، فما كان منه إلا أن أسرع والتقطها قبل أن تسقط، وتشبثت به خوفاً من أن تقع.

قال لها بخشونة: «أنت أيتها الحمقاء الصغيرة كدت تسقطين وتكسرين عنقك.»

نظرت إليه جينا نظرة ملؤها الاتهام وقالت: «أليس هذا ما تريده؟ العين بالعين؟»

لاحظت تقطيب حاجبيه، وتبدُّل كل ملامحه. وقال لها أخيراً: «هل هذا ما تعتقدين؟»

أجابت بحزم: «نعم.»

حملق في عينيها وشع بينهما بريق لا يمكن تفسيره، ففي لحظة سقطت كل الدفاعات، وتلاقت روحاهما على واقع مشترك، وشعرت جينا بأمل مجنون يغلفها.

راقبت جبينه المقطب... يغير تعبيره... وأدركت أنه، مهما كان الشيء الذي رأته منذ لحظات، فقد ذهب. قال أخيراً: «إن الوقت متأخر جداً، وعليَّ أن أخرج باكراً في الصباح.» أخذها من يدها وقال: «سأوصلك إلى غرفتك.»

لكنها حررت نفسها منه وقالت: «ليس عليك أن تفعل هذا، ومهما كان السرّ الذي تخفيه فإني أعدك بأني لن أحاول أن أتحرى ثانية عن أي شيء هذه الليلة.»

ابتعدت بسرعة عنه، متوقعة منه أن يتبعها، ملتفتة خلفها، ولكنها لم تلحظه.

بقي دانكن مستمراً في مكانه لوقت طويل، يستمع إلى وقع خطواتها. ثم خيَّم السكون بعد ذلك. إنه ما يزال يشعر بها وهو يعانقها، بلمسة ذراعيها حول عنقه، وبوجهها ملامساً حنجرته. لقد حرَّكت فيه عاطفة دفنت منذ زمن بعيد.

استيقظت جينا باكراً على الرغم من ليلتها المضطربة. ويبدو أن تصرف دانكن ليلة البارحة أكد شكوكها بأنه ما يزال يبحث عن وسيلة للانتقام. وبالطبع هذا سيكون أسهل إذا كانت قريبة منه.

شعرت بغيظ شديد. لقد فهمت الآن أسباب اصراره على استبقائها في منزله، قررت أن ترحل عندما تلوح لها أول فرصة. لقد أخبرها بأنه سيترك المنزل في الصباح الباكر، لذلك لم تتوقع رؤيته إلا في آخر النهار. ولكنهافوجئت عندما قرع الباب ودخل.

www.rewity.com

قال بطريقة مهذبة وهو ينظر إليها. «آمل بأن لا أكون قد أيقظتك.»

أجابته بإختصار شديد: «لم تفعل.»

كانت جالسة على مقعد قرب النافذة منذ الفجر. أقبل عليها، ووضع يده الباردة تحت ذقنها، وأدار وجهها نحوه، فأصبح من غير الممكن أن تتفادى النظر إليه.

«يبدو أنك تعبة.»

نظرت جينا إلى البعيد وقالت: «هذا ليس مستغرباً.»

رد عليها قائلاً: «إذا كنت تقصدين بأنني سبب تعبك فأنت في حالة يرثى لها من التعب هذا الصباح. أخشى أنني لا أوافقك الرأي.»

قالت بنظرة ملؤها الحقد: «لا توافقني الرأي؟ للحقيقة إن تصرفك الليلة الماضية لا يؤدي إلى النوم المريح.»

انتفض قائلاً: «لماذا لا تقولين الشيء نفسه عن تصرفك؟ هل تعودت أن تكوني لصاً ليلياً؟»

احمر وجه جينا، ثم قالت له: «لا. ولكن إذا أحطت كل شيء بسرية، فلن تستطيع أن تلمني لكي أجد أجوبتي بنفسي.»

«وهل وجدت شيئاً؟»

«لا شيء، ولكن مسرورة بأنك أتيت، فقد كنت أريد أن أذكرك بأنني أريد أن أرحل بعد زيارة الطبيب.»

«فعلاً، ولهذا السبب أتيت لأخبرك بأن الطبيب ماكراي لن يأتي اليوم. حالة ولادة قبل أوانها في البلدة، وأخشى بأن تكون الأولوية لتلك المرأة.»

قالت له ببرود: «بالطبع. تأجيل آخر كما توقعت. ولكن هذا ليس مهماً، وعلى أي حال، زيارة الطبيب

ليس لها أهمية. فأنا بخير وشقيقتي سوزي كذلك. وإذا كان فعلاً يعتقد بأن هناك ضرورة للمراقبة فهو يستطيع أن يذهب إلى المدرسة.» ثم وقفت وقالت له: «في الحقيقة، إذا تناولت سوزي فطورها فأتمنى عليك أن توصلنا حالاً.»

ردَّ عليها قائلاً: «إني آسف، فهذا ليس ممكناً. لديَّ أعمال ملحة وقد تأخذ مني كل النهار.»

«هذا سخيف جداً. أستطيع أن أقود سيارتي إذا أُصلحت، من دون أن أسبب لك أي ازعاج.»

«حسناً، فهي لم تصلح بعد. ما تزال في مرآب التصليح، وستأخذ أسبوعاً قبل أن تصبح بحالة حسنة.» تابع قائلاً: «لا تكوني حساسة إلى هذا الحد. لن يضيرك البقاء يوماً آخر. لقد استيقظت سوزي وهي في الحديقة الآن... تستمتع بوقتها. فلماذا لا تستطيعين البقاء؟»

وقف ينتظر ردَّها وعندما لم يسمع أيَّ ردٍّ منها هز رأسه، وقال: «وإذا أردت أن تقومي بنزهة، فلا تبتعدي كثيراً عن الاسطبل، فالطريق وعرة جداً.»

قالت بلهجة ساخرة: «كم هو لطيف منك أن تخبرني بذلك.»

قال لها: «وإذا كنت تودين البقاء أكثر، فسوف أُريك الاسطبلات. أنا فخور جداً بجيادي. وبالمناسبة، هل تمتطين الجياد؟»

«بالطبع. فلو لم أكن كذلك لما كنت أتيت إلى مدرسة الفروسية. ولا تخف، فلن أفرَّ بهذه الوسيلة. سوزي لا تزال ضعيفة، ولا أستطيع أن اجازف بها.»

تجهم وجهه وقال: «فرار؟ هل تعتبرين نفسك سجينة هنا؟»

أجابت بحدة: «يبدو أني سأواجه بعض المتاعب في الرحيل.»

«أنا آسف. لم أكن أعرف أنك تودين رؤية خالتك إلى هذا الحد. أم أنك تتوقين لرؤية ابن خالتك؟»

أجابته بغضب: «مهما يكن... فهذا ليس من شأنك.»

«ربما لا. على كل حال إذا كنت قلقة إلى هذا الحد بشأن الرحيل، تستطيعين القيام بذلك. وبالفعل، لديّ عمل هام اليوم. وإذا صبرت ليوم واحد فقط، فسآخذك غداً، أعدك بذلك.»

لو كانت الظروف عادية، لوجب على جينا أن تكون ممتنة له، لإنقاذها وشقيقتها؛ وشاكرة ضيافته. لكن الظروف لم تكن طبيعية. وعلى الرغم من كل شيء، يجب أن تستمر في اعتباره عدوها.

قالت له أخيراً: «تحت هذه الظروف ليس لديّ البديل.»

قال لها ساخراً: «أنت كريمة الأخلاق جداً. هل سأراك على العشاء هذه الليلة؟ أم تعتقدين بأني ربما أحضرك رغماً عن إرادتك؟»

قالت له بتوتر: «لا تكن سخيفاً.»

التفت إلى الوراء بينما كان يغادر المكان وسأل: «هل هذا يعني بأني سأراك على العشاء... أم سيكون لديك صداع آخر؟»

رفعت رأسها بكبرياء. الصداع لن يجدي نفعاً الآن. «شكراً لدعوتك اللطيفة. سأكون هناك.»

• • •

بُعيد ذهاب دانكن، أخذت جينا تتجول في الحديقة متجهة إلى الاسطبل، وهناك رأت سوزي. «شكراً لله، يا سوزي! هل أنت بخير؟»

اقتربت منها واحتضنتها بكل لطف وهي تلامس الورم في رأسها، وبدا أن الورم قد خفّ عما قبل.

«يجب أن لا تفعلي شيئاً فوق طاقتك.»

ردّت سوزي: «لا لن أفعل، وأعدك بذلك. أنا أساعد أليكس فقط.»

اقترب الفتى ذو الشعر الأحمر حاملاً معه أكياساً من العلف وانحنى لجينا.

قال لسوزي: «ساعديني في توزيع هذه الأكياس. ثم خذي وعاءً واقطفي التفاح الناضج.»

قالت سوزي باعتزاز: «أليكس هو المسؤول هنا، وأنا مساعدته.»

قال أليكس مخاطباً جينا: «ليست سيئة، وقد قال السيد دانكن بأن هذا سيساعدها لكي تتحسن صحتها.»

نظرت جينا بشيء من الريبة وقالت لأليكس بصوت خافت: «لا تدعها تُتعب نفسها كثيراً.»

«كوني مطمئنة، فلن أفعل ذلك.»

قاطعتهما سوزي قائلة: «لقد قال دانكن إني أستطيع أن أمتطي بيلا في أي وقت أريد، ولكن يجب أولاً، أن أتمرن على امتطائه بمفردي. إني أحب دانكن.»

أخذت جينا تفكر، كيف سيكون انتقام دانكن من ستيوارت أندرسون. وماذا يتمنى أن يحدث؟ هل يفكر بأنها لو مكثت

وقتاً أطول هنا ربما أُغرمت به؟

هزت جينا رأسها. ما هذه الفكرة السخيفة. لكن ليس لديه أي ضمانة بأنها قد تغرم به.

قاطعت سوزي أفكار جينا قائلة: «أتمنى لو نبقى هنا إلى الأبد. ألا تحبين هذا؟»

أجابت جينا: «إن المكان جميل هنا، ولكني أعتقد بأنك ستجدي مدرسة الفروسية عند خالتك لويز أجمل. يوجد هناك الكثير من الجياد. وإذا أردت، تستطيعين أن تبدئي بالتمارين في الغد عندما نرحل من هنا.»

أحنت سوزي رأسها وقالت: «ولكني لا أريد أن أرحل من هنا. لقد قال لي دانكن إنني أستطيع أن أبقى هنا طالما أردت ذلك.»

ابتسمت جينا، فهي لا تريد أن تفسد بهجة سوزي البريئة باظهار عدائيتها لمضيفهما.

«هذا شيء لطيف من دانكن، ولكننا أتينا إلى هنا لمساعدة الخالة لويز. فهي بحاجة لنا في مدرسة الفروسية. هل تريدين أن تخذليها؟»

لقد أرادت أن تحل هذه المشكلة، فإذا وفى دانكن بوعده، فربما رحلتا في الغد، وهي لا تريد أية معارضة من سوزي.

«لا تفكري بهذا الآن، يا عزيزتي. استمتعي بوقتك وسأراك لاحقاً.»

عادت جينا إلى المنزل، وأخذت تفكر بالطريقة التي ستتصرف بها قبل أن تطلب مدرسة الفروسية بالهاتف. وبعد برهة ردَّ عليها صوت رجل على الطرف الآخر من الهاتف.

«ستيوارت أندرسون.»

ردَّت جينا: «أوه، ستيوارت!» لقد سمعت كثيراً بهذا الاسم في السابق، ولكنها صُدمت لتحدثها معه أخيراً. «كنت أتوقع أن أسمع صوت خالتي. هذه أنا، جينا.»

«حسناً، كيف حالك، يا جينا؟ لقد سمعت لتوي، بالحادث المؤسف الذي وقع لك من أمي. هكذا شاء القدر، مضى يومان وأنا بعيد عن المنطقة، وإلا كنت أتيت قبل الآن لاصطحابكما، فنحن لا نستطيع أن نزعج فرغسون أكثر من هذا، أليس كذلك؟»

من خلال كلام ستيوارت عن دانكن شعرت بالعدائية المتبادلة بينهما. وربما كان من الأفضل لها أن تنتظر لترى ما إذا كان دانكن سيفي بوعده أم لا قبل أن تقوم بإجراء المخابرة؛ ولكن الأوان فات، الآن.

«لهذا السبب اتصلت بكما الآن. سوزي وأنا سنكون في غلينري غداً، لذلك أخبر خالتي بأن لا تقلق، فالسيد فرغسون قال بأنه سيوصلنا.»

ردَّ ستيوارت باستخفاف. «مبادرة حسنة منه. لكن ليس عليه أن يزعج نفسه، سآتي لأخذكما بنفسي الآن، إذا أردت ذلك.»

بادرته جينا بسرعة: «لا! أرجوك! لقد رُتب كل شيء. لا أعرف متى سنصل، ولكن سنراكما غداً أنت وخالتي.»

بعد لحظة تردد قال ستيوارت: «إذن، إلى الغد، وسوف نكون بانتظاركما.»

شعرت جينا بالاضطراب عندما أقفلت الخط. فآخر شيء أرادته هو مواجهة بين الرجلين وإذا كانت محظوظة،

فسوف يفي دانكن بوعده، ولن يكون هناك حاجة ليعرف أنها كلمت ابن خالتها.

كانت جينا سعيدة لرؤية تعابير سوزي تشرق من جديد، عندما شاركتها في شرب الشاي. فخروجها إلى الهواء المنعش أعاد الاشراقة إلى وجنتيها من جديد. وشعرت بارتياح لأن آثار الحادث قد بدأت بالزوال، ورفعت حرارة الشمس من روحها المعنوية. والآن عرفت بأنها سترحل بطريقة أم بأخرى. سوف ترحل غداً. وكانت تتشوق لتناول العشاء مع دانكن.

ارتدت جينا ثوباً أزرق ناعم الملس، ومن داخلها همس صوت شيطاني، لماذا لا تلعب لعبته؟ قفز قلبها بين ضلوعها لهذه الفكرة. ستكون لعبة خطرة، وسيكون من سخرية الأقدار أن يقع هو في غرامها.

الفصل الخامس

عند باب غرفة الطعام تراجع دانكن إلى الوراء ليدع جينا تمر أمامه. فنظرت إليه بحذر.

قال وهو يبتسم ساخراً: «لا تقلقي. لن ابتلعك. فنحن هنا متحضرون، حتى في هذه المرتفعات. وقلما أدرجنا ضيوفاً على لائحة الطعام.»

ردت جينا فجأة: «أنت تدهشني.»

ضحك وسحب كرسياً ليجلسها قبل أن يجلس على كرسي في مواجهتها تماماً.

دق الجرس، وأتت آني بإناء من الحساء بينما كانت تراقبهما بصمت، وانسحبت وهي تبدو وكأنها غير راضية. ركز دانكن نظرة على جينا عندما التقطت الملعقة وأخذت تأكل. كانت تتصرف بكل دقة حتى لا تجعله يلاحظ الارتجاف في يديها. لم يسبب لها أحد من قبل هذا الشعور بالتوتر.

أخيراً بدأ بتناول الطعام محرراً جينا من نظراته الحادة. مما جعلها تستمتع بالحساء الشهي.

ما أن أنتهى من تناول الحساء حتى سألها: «حسناً. هل استمتعت بنهارك؟»

أجابته بشرود: «نعم، لقد ذهبت إلى الاسطبل، وكانت سوزي هناك... تساعد في بعض الأعمال.»

«نعم. أعلم. أنا بنفسي أخذتها إلى هناك.»

تذكرت جينا شكوكها وقالت وهي متجهمة الوجه: «لقد

WWW.REWITY.COM

علمت بهذا؟ ولكن بما أنك أنت الذي أصررت على أن ترتاح، فأنا أتعجب لماذا فعلت هذا.»

قطب وجهه ونظر إليها متسائلاً: «هل تفضلين أن تبقي في المنزل كل النهار تعاني الملل؟»

«بالطبع لا، ولكني لا أريدها...» وهنا توقفت عن الكلام، فقد كانت تريد أن تقول بأنها لا تريدها أن ترتبط بك أكثر. ولكنها شعرت بأن هذا غير مناسب. فقالت: «فهي لا تنتمي إلى هذه المنطقة. وأنا لا أريدها أن تشعر بهذا. وليس هناك أي تلميح لشيء آخر.»

قال لها: «وهل من الضروري أن يكون هناك تلميح في كل شيء؟» سألها وهو يضغط على مخرج الكلمة الأخيرة.

تجاهلت قصده وقالت بحدة: «سنرحل غداً. ولست ألمّح لأي شيء آخر. ولنكن صريحين، لقد تعبت من معركة الذكاء السخيفة هذه، التي لن تنتهي.»

وضع يده على ذراعها، دفء أصابعه اخترق قماش ثوبها وهذا ما جعل نبضات قلبها تتسارع «لماذا لا نتوقف إذاً.»

قال وهو يبتسم بمرارة: «أنت دائماً لا تأخذي من كلامي إلا الوجه السيىء.»

نظرت إليه جينا مدافعة، وجفّت الدموع التي كانت تهدد بالانهمار، جراء شدة حنقها وسألت: «وهل تلومني لأجل هذا؟»

دهشت لأنه ضحك، وبدا متسلياً ثم قال! «يجب عليّ ذلك. فأنت تحولين، دائماً، كل ما أقول إلى جدال.»

نظرت إليه مقطبة الجبين ثم اعترفت: «ربما لأنني لا أثق بك.»

هز رأسه وقال: «ربما أنا أعاني من ذات المشكلة.»

حبست جينا أنفاسها في دهشة مكتومة من جراء البريق الدافىء الذي شع في عينيه.

ضغط على ذراعها وسألها: «ما رأيك؟ هل نعلن الهدنة ويحاول كلانا أن نستمتع برفقة الآخر؟»

انتظر جوابها بكل هدوء أما جينا فقد سألت نفسها. ماذا ستخسر؟ فهي مجرد ليلة.

أخيراً قالت له: «حسناً. لِمَ لا؟» لقد شعرت بأنه لا فائدة من انكار انجذابها إليه كفراشة تنجذب إلى الضوء، وهي تعلم بأنها قد تموت بسهولة.

ما أن نظر إليها حتى أشاحت بنظرها عنه، تحاول أن تحصّن نفسها ضدّه. إنه رجل ذو جاذبية ساحرة وقد تجد صعوبة في مقاومة سحره.

بادرها باللطف وقال: «تبدين جميلة جداً هذه الليلة. وهذا الثوب يليق بك كثيراً.»

«شكراً. فأنا مسرورة لأنه أعجبك.» ونظرت جينا إلى ثوبها وتذكرت شيئاً هاماً. كيف نسيت؟ وأردفت: «إنه هدية من صديق.»

لقد أهداها إياه مارتن في عيد ميلادها. وهذه الهدية كانت تعني لها الكثير، ولكنها الآن مجرد ثوب. لقد أرتدته حتى من دون أن تتذكر.

قاطع تفكيرها قائلاً: «بالطبع، صديق، رجل.»

أجابت وهي ما تزال مذهولة: «نعم.»

سارع إلى القول: «آه! فهمت. إنه صديق حميم.»

أجابته باختصار: «نعم. إذا سمحت، لا أريد فتح هذا الموضوع.»

ابتسم قائلاً: «هل هو مؤلم إلى هذا الحد؟»

«ليس بالضرورة، ولكنه شخصي.»

«سامحيني. ولكني لم ألاحظ بأنك حريصة جداً على الأشياء الشخصية.» التهب وجهها وقالت: «أعتقد أن هذا ليس ودياً. فقد أعلنّا هدنة في ما بيننا.»

«اعتقدت ذلك أنا أيضاً. وأحاول فقط أن أظهر بعض الاهتمام الجدّي.»

وبغضب واضح قالت: «إن هذا غير مهم بالنسبة لي. ولكن إذا كنت فعلاً مهتماً، فسأخبرك. أنا ومارتن كنا سنتزوج، إلى أن توفيا والداي في حادث زورق. وعندما تحقق من أنني سأتحمل مسؤولية سوزي، ألغى الزواج.» وبابتسامة مليئة بالألم قالت: «قصة ممتعة. أليست كذلك؟»

«هذه قصة حمقاء، وهو رجل غبي.»

تنهدت وقالت: «ربما.»

تلهى بالأكل ثانية، لكنها شعرت بقوة نظراته عليها فنظرت إليه ثانية. «كيف حصل الحادث لوالديك؟»

تنهدت جينا بمرارة. «لا أحد يستطيع التأكيد. كان والدي صياداً ماهراً، ووالدتي كانت تحب الإبحار بالزورق. وغالباً ما كانا يبحران معاً في زورق صغير. وفي يوم هبت ريح قوية في البحر... و...»

أمسك بيدها وأخذ يداعب كفها بأصابعه حتى شعرت بالدفء يجري في عروقها.

«ولم يبق من العائلة إلا أنتِ وسوزي.»

هزت كتفيها وأجابت: «نعم. نحن فقط. فالحياة تستمر.» نظر إليها بلطف مما جعلها تشعر بقلق. سحبت يدها من

يده ونظرت إليه، فلاحظت عدائية مفاجئة بنظرته. لماذا سمحت لنفسها بأن تثق به؟ كلما عرف عنها أكثر، كلما زاده ذلك قوة.

«إذن، أتيت إلى هنا لتشفي قلباً محطماً.» كان سؤاله لطيفاً، ولكنها شعرت وكأن فيه شيئاً من السخرية.

حملقت به وقالت: «لا، لم يكن الأمر كذلك.»

رفع حاجبيه الأسودين وسأل: «ما هو إذن؟»

«خالتي لويز دعتنا من أجل تمضية الصيف عندها، ونحن قبلنا.»

هز رأسه وقال: «ألم تأت على ذكر ابنها العزيز عندما أرسلت الدعوة؟»

«ذكرته بالطبع. فهي لا تستطيع أن تتجنب هذا، لأنه يملك مدرسة الفروسية وهو الذي طلب منا أن نساعده فيها.»

أردف قائلاً بسخرية: «إنهما بحاجة لمساعدة بقدر ما هما بحاجة إلى رصاصة في الرأس. وحتى لو فعلا فسيجدا الكثير من المهووسين بالجياد في القرية، حيث يستطيعون أن يستأجروها مقابل لا شيء.»

«إذن، لماذا طلبت مني خالتي أن آتي؟»

رفع رأسه عالياً وقال: «سؤال مهم، فهناك سبب لكل شيء مهما حاولا اخفاءه.»

ردت عليه غاضبة: «هل نتكلم عن تلميحات ماريان السخيفة الآن.»

«هل هي سخيفة؟»

«طبعاً. فليس هناك أية نية من خالتي للتقريب بيني وبين ستيوارت.»

«ولما لا؟ فأنتما من صلبها، ولكن هو لا. وقد يكون هو الحل المثالي من وجهة نظرها. ربما هي حمقاء إلى حد أنها تعتقد بأن الزواج قد يهديء من روع ابن زوجها. وكذلك تحل مشكلتك أنت وسوزي بما أنكما وحيدتان في الجنوب.»

ردت عليه ساخرة: «يبدو أنها فكرة حسنة. فإذا كان ستيوارت وسيماً كما يبدو في الصورة، وطلب مني الزواج بالفعل. فأعتقد أنني أكون بلهاء إذا لم أقبل.»

«قد تعجب النساء بستيوارت.» ثم أضاف بصوت ساخر: «لكني لا أعتقد بأنك من النوع الذي يؤخذ بالمظهر والمادة.»

ابتسمت وقالت: «لا تعتقد؟ للحقيقة، كلاهما يأتيان في المقام الأول.»

ضاقت حدقتاه وهو ينظر إليها وقال: «يجب أن أتذكر ذلك.»

«حقاً؟»

نهضت وهي تقول: «لا أعتقد بأنني سأبقى لأتناول القهوة. من فضلك أخبر آني أن الوجبة كانت شهية، وسوف أشكرها بنفسي في الصباح. وأشكرك على هذه الأمسية الجميلة.»

قال ببرودة وعلى وجهه تعبير مبهم: «لقد كانت رائعة، أليس كذلك؟»

«ولكنها لم تكن مسلّية.»

ضحك وقال: «أعتذر. سأبذل قصارى جهدي في المرة المقبلة.»

«أنا متأكدة من أنك ستفعل، إذا كان هناك من مرة

ثانية. إنه من الممتع أن أرحل في الغد. لا تقل بأنك نسيت.»

«وكيف أنسى، وأنت لا توفرين مناسبة إلا وتذكرينني؟»

«نعم فليس هناك مجال للنقاش بهذا الأمر.» وأردفت: «حسناً، عمت مساءً.»

هز رأسه من دون أي نقاش. ثم مشى باتجاه النافذة وأخذ يحملق إلى السماء، ومن دون أن يلاحظ خروجها قال: «عمت مساءً.»

مرّت بطريقها إلى غرفتها بغرفة سوزي لتطمئن عليها. وجدتها نائمة. لامست بأصابعها بشرتها الدافئة. هل هي تتخيل أم أن سوزي محمومة قليلاً؟ ولكن الفتاة كانت تغفو بسلام. أطفأت جينا النور، وتركت الغرفة منكفئة إلى غرفتها.

على الرغم من تعبها، جافاها النوم. بقيت أحداث المساء تراوح في عقلها. لقد بدأت تتعرف قليلاً إلى دانكن فرغسون.

كان قاسياً، ذا حنكة، واثقاً من قدرته على تطويع النساء، وغير خائف من استخدام تلك القوة إذا كانت تتلاءم وأهدافه.

لقد أظهر بعض الليونة تجاهها الليلة، وبعض الاهتمام، فأحسّت وكأنها مشدودة إليه، ولكن كراهيته لستيوارت أندرسون وقفت حاجزاً بينها وبينه، وشكرت الله كونها سترحل غداً.

شعرت فجأة بالخواء، ولكنها قالت في نفسها. ليس الوقت، وقت ضعف. يجب أن تبقي على سلاحها ضده.

الفصل السادس

ملأ الجو ضجيج صرخة قوية وادركت جينا أنها صرخة طفل خائف.

هبّت من السرير خائفة وتوجهت إلى الباب صارخة: «سوزي!» وما أن خرجت من غرفتها حتى رأت سوزي في الرواق بين ذراعي شخص طويل، لم تستطع أن تميزه للوهلة الأولى.

ركضت نحو شقيقتها لتجدها محمولة بين ذراعي دانكن، وهي متأبطة به، ثم وضع دانكن إصبعه على شفتيه، مشيراً إلى جينا بالسكوت.

همس قائلاً: «إنها ليست مستيقظة تماماً، وهي أهدأ الآن.»

سألته بصوت خافت: «ماذا حصل؟»

لم يعط أي جواب، وسار بحذر نحو غرفة سوزي، ثم وضعها على السرير بتأن. راقبته جينا، مندهشة، وهو يدثر شقيقتها باهتمام بالغ، ثم تحسّس جبينها بلطف.

تمتمت سوزي وهي نائمة: «رأيت حلماً.»

أجابت جينا: «أعرف يا حبيبتي. لكنك الآن بخير.»

ثم فتحت سوزي عينيها وقالت: «أين جينا؟»

مدّت جينا يدها إلى أختها لتهدئها. «أنا هنا يا صغيرتي. عودي إلى النوم.»

تثاءبت سوزي ثم أغمضت عينيها.

وقفا صامتين معاً. منتظرين أن تخلد سوزي للنوم، ثم انسحبا بهدوء.

تنفست جينا الصعداء في الرواق وقالت: «منذ زمن بعيد لم تر أحلاماً مزعجة. اعتقدت أنها تخلصت منها نهائياً.»

قادها بهدوء وقال: «لننزل إلى الطابق السفلي لأقدم لك شراباً. لقد نسيت كم هي مرعبة؛ كوابيس الأطفال.»

عندما وصلا غرفة الجلوس، توجه مباشرة إلى خزانة المشروبات وتناول كأسين وزجاجة.

ناولها كأساً وقال: «اشربي هذا. فسوف يساعدك على تهدئة روعك. فالاضطراب بادٍ عليك.»

رشفت كأسها ونظرت إليه بخجل.

«هذا لطف منك... ما فعلته مع سوزي.»

ردّ من دون اكتراث: «ردة فعل طبيعية.»

شرب كأسه في رشفة واحدة، ثم مسح وجهه بأصابعه، وكانت جينا تراقبه بصمت.

بعد وقت قصير، نهض من على كرسيه واقترب من النافذة قليلاً ثم قال: «إن الجو رائع في الخارج. فلماذا لا نتمشى قليلاً؟»

اقترب منها وأخذها من يدها، وشعرت جينا بشيء مثير عندما لمسها، وسمحت لنفسها بأن تنصاع له.

«هل تشعرين بالبرد؟»

هزت رأسها نفياً، ولم تبدِ أي اعتراض عندما أحاط وسطها بذراعيه ليقودها إلى الطريق، وشعرت بدافع قوي لتحيط وسطه بذراعها.

كان الهواء دافئاً، ورائحة الزهور عابقة، والسماء

مرصعة بالنجوم. كان المشهد ساحراً، مما بعث ارتياحاً في نفس جينا.

شدَّها إليه أكثر وقال لها: «يظهر أنك تشعرين بالبرد.»

«لا. ولكني مشدوهة بجمال المكان. إنه فعلاً جميل.»

أدارها إليه وتأمل وجهها وقال: «هل ستشعرين بالأسف لرحيلك عن هذا المكان؟»

أجابته بصراحة: «نعم، لسبب ما، ولكنني أعتقد بأن الريف لن يكون مختلفاً في غلينري.»

أحست به وكأنه تشنج. وسألها: «هل الريف فقط هو محور نقاشنا؟»

نظر إليها بغرابة، وشعرت جينا بارتجاف ملؤه الخوف.

أجابته باهتمام بالغ: «إن هذا محور حديثي.»

ابتسم بسخرية وقال: «لم أكن أعرف أنك من عشاق الطبيعة.»

ردت عليه قائلة: «هناك أشياء كثيرة لا تعرفها عني.»

تنهد وأجاب: «هذا صحيح. وهذا الوضع يمكن معالجته لو أنك ألقيت سلاحك بعيداً لفترة قصيرة.»

ضحكت وقالت: «ولكني أعرف عنك أقل مما تعرفه عني.»

رفع أحد حاجبيه بشكل ساخر وقال: «حقاً؟ إذن لماذا أخذت انطباعاً بأنك تجدينني صريحاً لدرجة الازعاج؟»

«ربما بسبب دوافعك. وإذا كنا سنتشاجر من جديد فإني أفضل أن أدخل وأنام.»

أمسك ذراعها ورأت أن تعابيره قد تغيرت.

«هذا آخر ما أتمناه، يا جينا... أن أتشاجر معك.»

سألته بارتياب: «إذن، ماذا؟»

احتضنها فجأة بذراعيه وشدَّها إليه بقوة فشعرت بنبضات قلبها تتسارع مع نبضات قلبه في آن. وراح يعانقها بشغف. واستسلمت له لبرهة، ثم انتفضت فجأة وقالت: «توقف عن هذا.»

سألها والابتسامة على شفتيه: «أتعنين أنك لم تستمتعي بما حدث؟ على الأقل ليس هذا ما شعرت به.»

قالت بغضب شديد: «ليس معروفاً لأي مستوى ستنحدر لكي تصل إلى ما تريد.»

أجاب بحدة: «لقد بدا وكأن كلانا أردنا الشيء نفسه. أم أني مخطئاً؟»

«ليس تماماً. فأنا أعترف بأنك استملتني للحظات ولكن هذا لن يحدث ثانية.»

لوى فمه بشكل ساخر وقال: «لا تعطي أي ضمانات خطية.»

ابتسمت، ولكنها أحست بخوف، وأخذت تتساءل، أكان هذا لطفاً أم انتصاراً؟

قالت بصوت كأنه صلاة: «سأرحل غداً.»

«ليس عليك أن ترحلي. ابقي هنا. تزوجيني.»

أخذت نبضات قلبها تخفق وتتخبط بين ضلوعها.

«تطلب مني أن أتزوجك؟»

«أنت جميلة وجذابة. فهل هذا غريب؟»

حملقت به لبرهة ثم قالت: «أجل، غريب جداً، إذا أخذنا بالأعتبار من أكون أنا.»

ساد صمت عميق بينما كانا يحملقان ببعضهما البعض وهما غاضبان.

أمسك بكتفيها وهزّها قليلاً. «سألتك هل تتزوجينني؟ فلم أسمع جوابك حتى الآن.»

«جوابي هو لا.»

«هل كان جوابك سيكون هو نفسه لو أن ستيوارت أندرسون سألك السؤال نفسه؟»

اشتدت غضباً وقالت: «لا أعلم. وسوف أعلمك بذلك عندما يسألني.»

حملق بها لعدة ثوانٍ وقال بجدية واضحة: «إني الاختيار الأفضل.»

قالت بسخرية لاذعة: «هذا رأيك أنت.»

«تجاوبك معي منذ عدة دقائق أظهر لي بأنه كان لديك الرأي نفسه.»

«لا توفر أي حيلة، أليس كذلك؟»

«لا، ليس كثيراً جداً.»

ما أن رفعت يدها لصفعه حتى أمسكها بكفه الكبيرة بكل سهولة.

«لا تهاجميني... تزوجيني. أيتها الجميلة جينا. لقد اعترفت بأنك أحببت المكان هنا، وسيكون هناك منزل دائم لسوزي.»

بقيت صامتة، ولكنها كانت تتأجج غضباً إلى أن قالت: «شيء جميل منك أن تكون محباً للغير. ولكن ماذا تبغي من وراء هذا؟»

قال بهدوء: «أنا أعرف بماذا سأخرج من كل هذا.»

ضحكت وقالت: «ربما الانتقام، لما تعتقد، أن ابن خالتي فعله ضدك. هل تريد الزواج مني من أجل أن تتأكد بأن ستيوارت أندرسون لن يفعل؟ هل باستطاعتك أن تعيش كل حياتك تعيساً مع امرأة كي تحرمه من السعادة؟»

حملق بها للحظات طويلة ثم قال: «إذن تنوين الزواج منه؟»

«من الممكن، فربما هو الرجل المناسب الذي أبحث عنه. لكن لم ألتق به حتى الآن.»

تمتم بصوت منخفض: «ولن تفعلي لو كان الأمر بيدي.»

«أخيراً وصلنا إلى بيت القصيد. هذا كل ما في الأمر. أليس كذلك؟ طلبك الزواج مني، هو محاولة سخيفة لابقائي هنا... بعيداً عنه...»

لم تعطه فرصة للكلام وأكملت قائلة: «حسناً، لن تنجح بذلك. بمساعدتك أم من دونها، سأذهب أنا وسوزي إلى غلينري غداً.»

رجعت إلى غرفتها، وجلست قرب النافذة المفتوحة، في ضوء الفجر الخفيف. بقيت أفكارها مضطربة على الرغم من التعب الجسدي..

لقد سألها دانكن الزواج، ومن غير الممكن أن يكون جدياً! فهو لا يعرفها جيداً، لا! إنه جزء من مخطط الانتقام.

لكنها تذكرت اللحظات التي كان فيها هادئاً ولطيفاً. لقد تذكرت كيف كان يحمل سوزي بين ذراعيه، وكيف كانت الطفلة مرتاحة له. ألم يقولوا بأن الأطفال يعرفون بالغريزة الناس الذين يكونون محط ثقة؟

www.rewity.com

فكرت جينا بشيء من الأمل في أنها ربما لو تزوجته لاستطاعت أن تظهر له أن الحب أفضل من الكراهية... من الممكن أن يسامح وينسى...

لم تشعر جينا إلا وقد لاح الصباح، وسمعت صوت باب يغلق.

وقفت وهي تشعر بجمود في عقلها. ثم كم هي غبية لتبقى طوال الليل جالسة على الكرسي بدلاً من أن تنام على فراشها المريح؟

قفز قلبها فجأة لسماعها صوت رجل مألوف. نظرت خلسة من النافذة.

رأته مرتدياً ثياباً لم تشاهدها عليه من قبل. ثم انحنت أكثر، ترغب في رؤية وجهه... فهي تريده أن ينظر إليها.

صعد دانكن إلى سيارة اللاندروفر ونادى أليكس ذا الشعر الأحمر.

قال له: «إذهب وذكر السيدة بأن الوقت قد تأخر.»

اكفهرت جينا وهي تتساءل، أية سيدة يعني؟ هل يعنيها هي؟ هل سيأخذها إلى غلينري أخيراً؟»

رأت ماريان، قبل مضي وقت طويل على تساؤلاتها، تركض نحو دانكن في اللاندروفر، ثم طوّقت عنقه بذراعيها. فما كان منه إلا أن أبعدها بتوتر.

تأملته ماريان ملياً. «أرجو أن لا تكوني على هذا المزاج طوال النهار، لأنك، هكذا ستفسدين عليّ أعمالي.»

استدار وتوجه إلى داخل المنزل، ابتعدت جينا فوراً عن النافذة، حيث كانت ما تزال تراقبهما. وبعد دقائق سمعت قرعاً على الباب، ثم دخل دانكن. قال لها: «اسمعي، يا جينا،

عليّ أن أقوم بعمل ما هذا الصباح. عمل كنت قد نسيته، وإذا كنت تصرين على الذهاب إلى غلينري، فسأكون هنا لاحقاً لأصطحبكما.»

أجابته بامتعاض: «لا تهتم، فأنا أكيدة بأن خطط ماريان أهم من خططي.»

«لا تكوني سخيفة. فهذا ليس من شيمك لقد قلت إنني سأكون هنا لاحقاً.»

«هكذا إذن. لكن أرجوك لا تكن على عجلة من أمرك. لقد اتصلت بابن خالتي هاتفياً، وسيكون مسروراً ليأتي ويصطحبنا.»

تقدم نحوها وهو يتأجج غضباً: «ماذا فعلت؟ لقد دعوت أندرسون إلى هنا، من دون إذني؟»

«وهل يجب أن آخذ إذناً منك لأقابل ابن خالتي على الطريق العام؟ لم أكن أعرف بأنك تملك العالم كله؟»

«لم أقصد أن أتصرف بهذه الطريقة. لقد قلت لك إني سأصطحبكما، وسأفعل. سآخذك إلى غلينري وإلى عائلتك الموقّرة.»

خرج بتوتر وأقفل وراءه الباب بكل قوة، وبعد رحيله صرخت جينا: «اللعنة على هذا الرجل.» من يعتقد نفسه؟ ربما هو سيد هذا البيت، ولكن ليس سيدي أنا.

هل يتخيل بأني سأبقى هنا قابعة، أنتظر رجوعه بكل هدوء ووداعة؟ حسناً، فلتكن مفاجأة له. سأرحل أنا وسوزي إلى غلينري اليوم ولو سيراً على الأقدام.

ولكني، لحسن الحظ، لست مضطرة لهذا. فمخابرة لابن

خالتها ستريح دانكن فرغسون من ضيافتها غير المرحب بها.

انطلق دانكن مع ماريان. وكان قلقاً يراقب ساعته باستمرار ويشعر ببطء مرور الوقت. لقد وعد جينا بالعودة كي يقلها وسوزي إلى غلينري، برغم أنه لم تكن عنده النية لذلك. إذا أراد أن يقنعها بالبقاء، فعليه أن يعود بسرعة.

لاحظت ماريان، طوال الوقت أنه على عجلة من أمره، ولكنه لم يكن كذلك من قبل. وسألته باستياء: «لماذا أنت على عجلة من أمرك. فأنت كالأسد المأسور منذ الصباح.»

«أنا آسف. فلديَّ أمر هام في المنزل.»

«لا تخبرني ما هو هذا الأمر. دعني أخمّن. يا للأسف، يا دانكن. ألا تستطيع أن تكرّس لي يوماً واحداً فقط؟»

«إني آسف. ربما يكون هذا في يوم آخر.»

قالت ماريان ببرودة: «لا تقدم لي أي خدمة.»

«هل أنت ذاهبة إلى المنزل أم أنك تريدين أن أوصلك إلى مكان ما؟»

وصلا إلى منزل ماريان وترجلت من اللاندروفر قبل أن يساعدها على النزول.

«لا أريد أن أؤخرك.»

من دون أي نقاش، صعد إلى سيارته وانطلق. لقد بدا له أن الطريق بين منزل ماريان ومنزله لن تنتهي أبداً. فقاد سيارته بسرعة إلى أن لاح له منزله. وعندما اقترب قليلاً، لمح سيارة، قرب مدخل المنزل. هل يكون ضيفاً غير متوقع؟ من تراه يكون؟

عندما اقترب أكثر من المنزل، رأى جينا ممسكة

بشقيقتها وهما خارجتان من المدخل وقد بدا وجهها شاحباً، ولكنها كانت تبتسم لرجل كان ينتظرها.

استطاع فجأة أن يميز السيارة والرجل. إنه ستيوارت أندرسون. فانتفض ثائراً من سيارته.

رأته جينا يهرول نحوهم والغضب يتطاير من عينيه.

خاطبها دانكن قائلاً: «لقد قلت لك بأني سأعود، وقد اعتقدت بأنه سيكون لائقاً منك أن تنتظري.»

«ليس هناك من مشكلة، ستيوارت هنا وسيصطحبنا.»

التفت دانكن إلى الرجل الذي كان واقفاً ينظر إليه وقال: «هه، هه! أندرسون هنا. لم أكن أعلم أن لديك الجرأة في أن تأتي إلى هنا.»

من دون مبالاة رد ستيوارت عليه: «لا أتردد في الاستجابة لطلب ابنة خالتي العزيزة.»

«لم تكن في خطر مني.»

قاطعتهما جينا قائلة: «بحق السماء. إننا لسنا عظاماً يتصارع من أجلها الكلاب. كل ما نريده هو أن نصل إلى غلينري. ألا يمكنكما أن تلاحظا أن هذا يزعج سوزي؟»

«خسارة أنك لم تأخذي مشاعرها بعين الاعتبار قبل أن تفعلي ما فعلت. ولكن هذا ليس موضوعنا الآن.»

انحنى دانكن نحو سوزي مداعباً شعرها: «آسف لرحيلك، أيتها الصغيرة، ولكن سوف نلتقي مرة ثانية.»

أشرق وجه سوزي وسألته: «هل تعتقد ذلك؟»

«أعتقد ذلك.»

سيطرت جينا على نفسها قبل أن تقول له بأن ليس له

الحق بأن يعد سوزي بشيء كهذا. ولكنها رأت السعادة على وجه شقيقتها فاحجمت عن ذلك.

نظرت إلى ستيوارت الذي بدا أنه يستعد لتحد جديد. «من الأفضل أن نرحل الآن. فلا بد أن خالتي تتساءل عن سبب تأخرنا.»

كانت جينا مرتبكة. لا تعرف كيف ستودعه، وشعر دانكن بهذا وكأنه كان يقرأ أفكارها.

مدّت يدها لتحييه فمدّ يده وصافحها بسرعة وكأن لمسة يدها محرقة.

«إذا كنت تفكرين كيف ستشكرينني، فلست بحاجة إلى هذا. لقد كان من دواعي سروري.»

قال ستيوارت مقاطعاً: «أراهن على أن هذا صحيح. والآن اصبحتا من مسؤوليتي. لنذهب الآن.»

نظرت جينا إلى دانكن فرأت في عينيه نظرة غريبة، مما جعلها ترتجف.

بصوت خافت لم تسمعه جينا ولا ستيوارت قال: «لكل كلب يوم وقريباً سيكون يومي.»

الفصل السابع

دخل ستيوارت المطبخ، بينما كانت جينا تساعد خالتها في غسل أطباق طعام الفطور.

قال مخاطباً جينا: «عرفت أني سأجدك هنا. ما رأيك بنزهة حول القرية؟»

نشأت صداقة سريعة بين جينا وستيوارت في خلال الأسبوعين اللذين مضيا عليها في غلينري.

نظرت جينا إلى خالتها وقالت: «لا أعلم إذا كان لديّ الوقت الكافي، فلدينا الكثير من الأعمال هذا الصباح.»

قالت لويز: «ليس مهماً. باستطاعتك أن تقومي بها لاحقاً. اخرجي وتنشقي الهواء المنعش. فهذا سيعيد اللون لوجنتيك أنا لا أفهم لماذا ما تزالين شاحبة اللون. لعل ستيوارت على حق، فنحن نتعبك كثيراً.»

لقد كانت مسرورة لعدم مقدرة خالتها على قراءة أفكارها واكتشافها سبب شحوب وجهها. وهي تكره أن تعترف بالسبب، فهي لا تستطيع النوم خلال الليل وتنهض في الصباح متعبة.

تنشغل طوال النهار في العمل، تساعد خالتها في إدارة المدرسة، وفي أعمال البيت أيضاً. ولا تجد متسعاً من الوقت لتفكر بشيء.

لكن عندما يزحف الليل، لا تستطيع أن تتفادى التفكير في دانكن فرغسون. تمنت أن تتركه وهما صديقان. كان

لطيفاً جداً معها، خاصة، عندما لا يدع الكراهية تقف بينهما. ثم تذكرت عرضه للزواج منها. لقد كان واضحاً أنه أراد اذلالها فقط.

قاطع ستيوارت حبلِ أفكارها: «أمي ترى بأنك بحاجة لهواء منعش، ورأيها هو الفائز دائماً، وعليكِ أن تستسلمي.»

ابتسمت جينا ثم صعدت إلى غرفتها لتبدل ملابسها، وعندما عادت كان ستيوارت ينتظرها في القاعة.

قالت جينا: «سنذهب مشياً على الأقدام، أليس كذلك؟»

«إذا كنت تستطيعين ذلك. فالقرية تبعد حوالي ثلاثة أميال نزولاً باتجاه الوادي. وإذا شعرت بصعوبة العودة مشياً على الأقدام يمكننا أن نستعين بإحدى السيارات.»

ردت عليه جينا: «أستطيع. وكما قلت فأنا بحاجة إلى تمرين حقيقي.»

«إذن هيا بنا.»

كان صباحاً جميلاً جداً، والريف المحيط بهما في أوج جماله. لطّف الضباب الشاحب الذي ارتفع من بحيرة بعيدة وعورة الوادي. إلى جهة اليمين، سلسلة من الهضاب، مهجورة ورائعة الجمال، وكوخ صغير يلوح في البعيد.

أشار ستيوارت إلى مسافة بعيدة وقال: «يوجد الكثير من الخلجان الصغيرة على الشاطىء الشمالي للبحيرة. إذا كنت تحبين رؤية الطيور البرية، فيوجد الكثير منها هناك ربما ذهبنا برحلة إلى هناك يوماً ما.»

«سيكون هذا رائعاً.»

تعجبت جينا، لماذا فجأة ارتسم وجه دانكن في خيالها؟

لماذا لا يرتبط إلا وجهه فقط بهذا المكان الساحر؟

مشيا بخطىً ثابتة إلى أن وصلا إلى بوابة الكنيسة في القرية. توقفت جينا لتلقي نظرة على الجدران المغطاة بالطحلب. وكانت الشمس تشع فوق أحجار القبور الشاحبة.

سأل ستيوارت: «هل تريدين أن تدخلي وتلقي نظرة، أم أن مشهد القبور يرعبك؟»

«لا. لا يرعبني، فأنا أحب أن أشاهد الأماكن القديمة، فهي تخبر الكثير عن تاريخ الأماكن والعائلات التي عاشت من قبل.»

قال باستياء: «حسناً، هذه ستخبرك الكثير عن أجدادي. فمعظمهم دفن هنا. واحد أو اثنان هربا إلى بلاد بعيدة. ولكن ليس الكثير منهم.»

«إنها طريقة غريبة في وصف ذلك... الهرب.» نظرت جينا إلى ستيوارت بفضول فيما هو يفتح الباب ليدخلا إلى المقبرة وسألته: «هل تنوي الرحيل عن غلينري؟»

هز كتفيه وأجاب: «ربما... يوماً ما! ولكني سعيد حتى الآن.»

ابتعدت عنه قليلاً لتتجول في المقبرة وتقرأ أسماء الموتى على القبور. وفجأة لفت نظرها وجود أكثر من اسم من عائلة فرغسون على القبور.

اقتربت من ستيوارت، وأشارت إلى قبرين كتب عليهما اسمين: سُونا فرغسون وطفلتها ماري.

قفز قلب جينا بسرعة هائلة وسألت: «زوجة فرغسون وطفلته؟» لم يخطر ببالها أبداً أن يكون أرمل. وفجأة تذكّرت غرفة الطفل التي دخلتها يوماً في منزل فرغسون.

أجاب ستيوارت: «لا. شقيقته وابنتها الصغيرة.» وتردَّد قليلاً قبل أن يكمل كلامه: «لقد توفيتا نتيجة حادث حصل منذ سنتين.»

غصَّ ستيوارت وهو يتكلم، فلاحظت جينا بأن ملامح وجهه قد تغيرت.

«أكانت... صديقة... لك؟»

أجاب بصوت خافت: «شيئاً كهذا.»

عرفت جينا فوراً سبب الصراع بين الرجلين.

قالت: «ودانكن يعتقد بأنك المسؤول عن موتهما.» إن الأشياء تتوضح لها شيئاً فشيئاً الآن

قال باختصار شديد: «هذا ما يعتقده.»

«وماذا تقول في هذا، يا ستيوارت؟»

«لا. لست مسؤولاً. فأنا أترك الناس يستنتجون هذا بأنفسهم. وعلى أي حال فهم سيفعلون.»

بادرته جينا قائلة: «ولكن إذا كان دانكن مخطئاً، فعليك أن توضح الأمر له. إنه يضمر لك الكثير.»

رد عليها ستيوارت: «أنا أعرف بأنه يكرهني، ولكن هذه مشكلته.»

أمسكت بذراعه وقالت: «أود أن أعرف الحقيقة.»

«أنا متأكد من أنك ستعرفينها، ومن يعرف؟ ربما أخبرك بها يوماً ما. لكن ليس الآن.»

وضع يده على كتفها وقال: «لنذهب الآن. فمن المفترض أن نتمتع بهذه النزهة.» توقفا عند ساحة القرية الصغيرة.

قال ستيوارت: «لدي بعض الأعمال في حانوت السروج، واحتاج إلى ساعة من الوقت. هل تريدين أن

تأتي معي؟ أم تفضلين أن تتابعي جولتك الاستكشافية؟»

«أفضل الحل الثاني.»

أومأ ستيوارت برأسه قائلاً: «إذاً هناك مقعد قرب المدرسة القديمة، وسوف ألاقيك هناك في غضون ساعة.» ثم طبع قبلةً خفيفة على وجنتها قبل أن يرشدها إلى الطريق الصحيح.

أمضت جينا ساعة ممتعة، متجولة حول القرية، متأملة البيوت والمناظر الجميلة إلى أن وصلت إلى المدرسة والمقعد اللذين ذكرهما ستيوارت، وجلست تنتظر. كانت مسرورة بهذه الاستراحة الصغيرة، فاسترخت وأغمضت عينيها مستمتعة بدفء الشمس.

شردت أفكارها بدانكن وإلى ما قاله ستيوارت في باحة الكنيسة، مقتنعة بأن تلك القصة كانت نتيجة لتصرف دانكن. ولكنها لم تستطع إلا أن تكون متعاطفة معه. غير أنها لم تعط أي تبرير لتصرفاته معها.

سمعت فجأة صوتاً بارداً أعادها إلى وعيها: «إنك تحسنين التصرف باستغلالك دفء هذا اليوم الساحر، فلا يمكن التكهن متى يأتي يوم آخر مثله.»

فتحت عينيها متعجبة ورأت دانكن فرغسون واقفاً أمامها، لقد كانت تفكر به لتوها. لم تصدق بأنها تراه.

لقد بدا لها أكثر وسامة مما تتذكر وشعرت بدقات قلبها تتسارع باضطراب. أجابت بكل هدوء: «شكراً، سوف أتذكر هذا دائماً، فأنا لا أريد أن أضيع أي شيء من هذا الجمال.»

جلس بجانبها تاركاً مسافة بينه وبينها. وصرّت جينا

على أسنانها. من الواضح أنه ما يزال يلعب لعبته. «كيف تسير الأمور معك في المدرسة؟»

تفحصت وجهه البارد بتأن ثم قالت: «إذا كنت مهتماً حقاً... فأنا أستمتع بكل دقيقة.»

«إني مسرور لسماع هذا. وسوزي؟»

«لا تترك أي مجال للملل.»

«هذا حسن. وبالمناسبة، عليك أن تخبريها أن لدي شيئاً خاصاً أريد أن أريها إياه، عندما تأتي إلى المنزل في المرة المقبلة.»

حملقت به غير مصدقة: «المنزل؟ أتعني منزلك؟»

رفع حاجبه بمرح وسأل: «أين إذن؟»

قالت له باستياء: «لا أعتقد بأننا سنكون في منزلك مرة ثانية، ولا أعتقد أن هناك ضرورة لإيصال هذه الرسالة.»

«ألن تحضري المهرجان في نهاية الأسبوع؟ إنها مناسبة السنة الكبرى حيث تلتقي السيدات الفاضلات في المنطقة لجمع التبرعات في الحقل عندي. وأعتقد بأنهن سيقدمن شاياً شهياً في غرفة الطعام في منزلي.»

أجابته جينا: «شكراً. ولكني أعتقد بأني سأكون مشغولة جداً لدرجة أني لن أستطيع ترك المدرسة.»

رد دانكن: «سيلاحظ الجميع في القرية إذا لم تأت. لأن الجميع سيكونون هناك.»

ابتسمت جينا وهي تقول: «ماذا؟ الجميع؟ حتى عائلة أندرسون؟»

قال ببرودة: «حتى عائلة أندرسون لن تتأخر عن الحضور.»

سألت بالحاح: «هل تعني بأن الأحوال قد تغيرت، وسيُرحب بخالتي وستيوارت؟»

«أعتقد أن ابن خالتك أكثر واقعية من هذا.»

قالت ببرودة: «آه، فهمت، في هذه الحالة، لا أعتقد بأني سأستمتع.»

قال بتذمر: «يبدو أنك تهتمين كفاية بأندرسون. هل خطة خالتك في طريقها للنجاح؟»

قطبت جينا جبينها بحيرة وردت بحدة: «فكر كما تشاء. علاقتي بابن خالتي ليست من شأنك.»

«أشاء أن أفكر بأنها كذلك. لدينا أعمال لم تنته بيننا بعد، يا جينا.» صدمت جينا لسماع هذا الكلام.

«أنا... أنا لا أعتقد هذا.»

ابتسم ببرودة لردة فعلها وسألها: «هل ذاكرتك ضعيفة؟ لقد سألتك سؤالاً؟ ألا تذكرين؟»

أجابته: «لا. لا أذكر أنك سألتني أي سؤال جدي.»

«لقد كنت جدياً.»

رفعت نظرها إليه وقالت: «أتعني... عرضك للزواج؟»

«هذا ما أعنيه. كفي عن التظاهر بالخجل. فهذا لايليق بك.» جعلتها نظرته إليها تغتاظ منه.

«يظهر أنك خبير بالأشياء التي تليق بي.»

ابتسم وقال: «أستطيع أن أكون كذلك، إذا أعطيت الفرصة. وماذا أفضل من فرصة الزواج؟»

«أنا متأكدة من ذلك. ولكني أعطيتك جوابي، لا! وأشكرك على هذا العرض اللطيف.»

أجابها قائلاً: «لم أكن لطيفاً.»

أكدت جينا بحزم: «أعلم. إذاً ماذا كنت؟»

«أعتقد أنك ستكتشفين ذلك إذا فكرت ملياً بالموضوع.» ونهض من مكانه وتابع قائلاً: «إذن، لن أراك في المهرجان؟»

«لا.»

قال لها: «هذا مؤسف، بالنسبة لسوزي. ألم يحن الوقت كي تسمحي لها بالمرح قليلاً؟»

تأوهت جينا وقالت: «يا إلهي! فانت لا توفر أية فرصة.»

أجابها بكل برودة: «لا. وخاصة عندما تكون ضرورية.»

تنفست بصعوبة وقالت: «حسناً. لا أرى بأن هذا ضروري الآن. وكل شيء أفعله هو من أجل سوزي.»

«في هذه الحالة ربما التقينا جميعاً.» وكم كانت مفاجأة لها عندما انحنى ولثمها قبل أن يذهب. وقال بلهجة ساخرة: «والآن. وداعاً.»

ارتدّت جينا إلى المقعد حيث اختلط شعورها بالغضب والبهجة في آن معاً.

الفصل الثامن

حاولت جينا جاهدة في الأيام التالية أن تبعد دانكن عن مخيلتها. لحسن الحظ، بدا وكأنه قد تخلى عن فكرة الانتقام، وهذا يمكنها من أن تتمتع ببقية الوقت الذي ستمضيه هنا، ولكن بالطبع الكلام أسهل من التنفيذ.

لم تستطع أن تتوقف عن التأمل بامكانية أن يصبحا صديقين ولكنها تعلم أن الفكرة سخيفة. فالتوتر القائم بينهما يجعل تلك العلاقة مستحيلة. وكما يقال بعيد عن العين، بعيد عن القلب. ولكن لماذا تشعر بالفراغ الدائم؟ ولماذا ما تزال تكنّ له شعوراً لا ترغب به؟

لقد كان مختلفاً عن بقية الرجال الذين قابلتهم. إنه فخور، قوي الحضور، وشجاع ولكن ربما عندما تعود ثانية إلى بيتها ستتحول ذكراه إلى حلم، وسوف تتلاشى صورته بسرعة.

لكن فكرة العودة إلى منزلها لم تسرها. دانكن فرغسون بعيداً الآن، وهي سعيدة... وقد تأقلمت مع العيش هنا، أما صحة سوزي فقد تحسنت هنا.

جلست لتشرب الشاي مع شقيقتها سوزي وهنا سألتها سوزي: «هناك مهرجان في منزل دانكن يوم السبت. هل سنذهب؟»

ردت عليها جينا: «لاأعتقد هذا، فسأكون مشغولة يوم السبت.»

تجهم وجه سوزي وقالت: «أنت دائماً مشغولة هذه الأيام. فنحن لا نلهو أبداً.»

عضّت جينا على شفتيها، وقد صدمها كلام سوزي، تذكرت ما قاله دانكن فرغسون عندما تقابلا في القرية.

وضعت يدها على كتف سوزي وقالت: «أوه، يا سوزي! ظننت أنك لهوت كثيراً في مدرسة الفروسية.»

«نعم، ولكننا لا نخرج إلى أي مكان، كما تعودنا من قبل.»

خجلت جينا من نفسها عندما تحققت من كلام سوزي، فهما لم تخرجا يوماً كما كانتا تفعلان من قبل في منزلهما. تستطيع أن تلقي باللوم على ضغط العمل في المدرسة، ولكنها تعلم أنها كانت تعمل أكثر الأوقات حتى لا تفكر بدانكن. «إني آسفة جداً، يا سوزي. فأنا فعلاً ساكون مشغولة يوم السبت ولكني سأعوضها، أعدك بذلك.»

أشاحت سوزي بوجهها بصمت، ولكن ليس قبل أن تلاحظ جينا دموع الغضب.

سارعت جينا إلى القول: «ما رأيك بنهار الأحد؟ لقد قال ستيوارت بأنه سيأخذنا إلى البحيرة، لنشاهد الطيور البرية.»

فكرت سوزي ملياً ثم قالت: «إذا لن تكوني مشغولة يوم الأحد، فلماذا لا تعملين خلال هذا اليوم وتأخذيني إلى المهرجان يوم السبت؟»

صُدمت جينا بمنطق شقيقتها. فمنذ متى بدأت سوزي تنمو بهذا الشكل؟ وإزاء هذا الذكاء كيف لها أن ترفض وأن تبقى بعيدة عن دانكن فرغسون؟

«حسناً، لقد ربحت الجولة.»

صرخت سوزي من شدة فرحتها: «هذا رائع!» وبسعادة بالغة احتضنت سوزي جينا، ثم أخذت تركض نحو الاسطبلات.

جاء يوم السبت وكانت غارقة في مقعدها عند طاولة المطبخ، فما كان منها إلا أن قالت: «أوه، لا. هل يمكن لهذا أن يحصل! اليوم من بين كل الأيام! سيارتي معطلة، وستيوارت أخذ اللاندروفر طيلة النهار.»

ربتت لويز على كتف جينا وقالت: «اهدئي، يا عزيزتي، بحق السماء، وسأحضر لكي كوباً من الشاي، ما المهم بشأن هذا اليوم؟»

تنهدت جينا وقالت: «إنه يوم المهرجان، وقد وعدت سوزي باصطحابها إلى هناك.»

ردت لويز: «المهرجان، آه، نعم! لقد كان يوماً جميلاً... قبل...»

قاطعتها جينا: «بالضبط. قبل... ولكن لم يعد كذلك... ليس لآل أندرسون. ولا لآل وايلد كما أخشى.»

رمقتها لويز بنظرة مليئة بالحيرة: «أنت تعرفين القصة القديمة.»

اعترفت جينا: «جزءاً منها، ولكني أود أن أعرفها بكاملها. وربما أفهم ماذا يجري بين دانكن فرغسون وستيوارت.»

قالت لويز برصانة: «أنا نفسي لا أعلم القصة بكاملها. لقد رفض ستيوارت أن يناقش هذه القضية، ولا

حتى معي، فهو يقول بأنها شخصية، بينه وبين شونا.»

لم تستطع جينا إلا أن تسأل: «هل كان يحبها؟»

«بصراحة لا أعرف. كانا صديقين، لكن شونا كانت متزوجة، وهذا كان يسبب مشكلة بالنسبة لستيوارت. ومهما يكن فلا أعتقد أنه من الذين يخربون البيوت.»

عادت جينا تسأل: «ماذا سأفعل بسوزي الآن؟ هي مصممة على حضور المهرجان، ولم تصغ الي عندما حاولت أن أوضح لها مشكلة السيارة.»

حاولت لويز أن تهدئها: «سوف نرى ما سنفعل بعد أن ننتهي من شرب الشاي اهدئي فالمهرجان لن يبدأ قبل الغداء، ولديك الكثير من الوقت.»

«في هذه الحالة سأتناول كوب الشاي. أعتقد أني بحاجة إليه.»

اتصلت جينا بمرآب السيارات، لكنها لم تحصل على أي جواب. ثم فكرت أن تتصل بدانكن لتطلب منه أن يأتي ليصطحبها. لكنها عادت واستبعدت الفكرة فربما اعتبر هذا الطلب، انتصاراً عليها. وأخيراً حاولت أن تجد سوزي لتقنعها. بحثت عن سوزي في كل مكان لكنها لم تجدها. اعتقدت جينا أنها قد تكون مختبئة في مكان ما، وتنهدت بتعب. لو أنها تظهر فجأة؛ سوف تخبرها بأنها حاولت جاهدة، على الأقل، حتى تفي بوعدها.

مضت ساعة من الزمن، وسوزي لم تظهر وكانت قد رفضت بتوتر أن تتناول فطورها. ولكن جينا كانت متأكدة من أنها ستظهر عند موعد الغداء. بسبب شهيتها المفرطة للطعام، والجميع كانوا يتعجبون لهذه الشهية الشديدة.

لكن عندما لم تظهر عند موعد الغداء، بدأت جينا تقلق. بحثت عنها في كل أرجاء البيت والحدائق والاسطبلات، ولم تجد لها أثراً.

أخيراً سألت مونيكا، الفتاة التي تأتي أيام السبت لتساعد في العمل، والتي قالت عنها سوزي، إنها مخطوبة لأليكس الذي يعمل عند دانكن في الاسطبل.

«هل رأيت سوزي؟»

هزت مونيكا رأسها وقالت: «ليس منذ وقت قصير. لقد كانت هناك في الصباح.» وأشارت بيدها إلى المعالف.

استطاعت جينا أن ترى من مكانها أن المعلف خالٍ وبدأ قلبها ينبض بسرعة، وسألت: «هل ذهبت في جولة على صهوة الفرس لوحدها؟»

«لا أعتقد ذلك.»

قالت لمونيكا: «إذا رأيتها، هلاّ أخبرتها بأنني أبحث عنها وعليها أن تحضر إلى المنزل فوراً؟»

ما أن همّت جينا بالرحيل، حتى وصل أليكس. آتياً، ربما، ليزور مونيكا، إذا كانت سوزي محقة بشأن علاقتهما.

أسرعت جينا إليه وسألت: «أليكس لا أستطيع أن أجد سوزي. هل رأيتها؟»

رد أليكس قائلاً: «لقد أخبرتها بأنك لن تحبي هذا.»

قفز قلب جينا لسماعها هذا. «لا أحب ماذا؟»

«لقد امتطت الجواد وقصدت منزل السيد دانكن، ولم تصغ الي.» وعندما رأى الخوف بادياً على جينا أسرع قائلاً:

«أعتقد أنها بأمان الآن، وأتيت إلى هنا لأخبر أياً كان حتى تطمئني.»

نظرت جينا إلى الاسطبل وقالت: «أليكس، هل تستطيع أن تُسرج لي أحد الجياد، بينما أسرع إلى البيت لأبدل ملابسي؟»

رد أليكس: «بالتأكيد. هل تريدين أن أحضره لك بدلاً من أن تعودي ثانية إلى هنا؟»

«إذا سمحت. وشكراً لك.»

اختار أليكس جواداً صغيراً وأسرع من أي جواد آخر في الاسطبل.

وصلت إلى بيت دانكن، ولكنها لم تلمح أي أثر لشقيقتها. لم تفكر في معاقبتها، فكل ما تريده هو أن تراها سليمة معافاة.

كان دانكن في الاسطبل عندما وصلت إلى هناك.

قبل أن تبدأ بالكلام بادرها قائلاً: «أنت تبحثين عن سوزي بالتأكيد؟»

«إذن هي هنا؟»

أومأ برأسه قائلاً: «وصلت منذ ربع ساعة، طلبت أن تحضر المهرجان. وبما أنه لم يبدأ بعد، فقد أحضرتها إلى هنا.»

قالت جينا وقد تملكها الغضب بسبب قلقها: «لا أعتقد بأنك حاولت أن تتصل بي هاتفياً؟»

«لقد فعلت. سألت عنك شخصياً، لكنك لم تكوني هناك. والآن، بالطبع، أنت هنا.»

صرخت جينا بغضب: «وأين هي الآن؟»

«إنها في الاسطبل. هل تريدين أن تلقي نظرة؟» حاول أن

يمسكها بذراعها، ولكنها أبعدتها وقالت بتوتر: «هل تعلم أنني تخيلت الكثير من الأشياء الفظيعة وأنا في طريقي إلى هنا...»

قال بهدوء: «إني أصدق هذا، ولكن لحسن الحظ لم يحصل شيء من هذا، فسوزي هنا بخير.»

قالت جينا متهمة: «طبعاً من دون تشجيع منك، فلا عجب إن كانت مصممة على حضور مهرجانك اللعين.»

قست ملامحه وسأل: «ماذا تعنين؟»

لم تكن جينا تقصد أن تقول هذا، ولكنها تلوم الظروف، وبادرته قائلة: «أعني بأنك قد خططت لهذا.»

أجاب ضاحكاً: «هذه سخافة، يا جينا. وأنت تعرفين هذا بالطبع.»

«لقد طلبت مني أن أخبر سوزي بأن لديك شيئاً خاصاً تريدها أن تراه. ألهذا السبب هي هنا؟ هل أرسلت لها هذه الرسالة بطريقة أخرى؟ أليكس يزور المدرسة في أغلب الأحيان، أليس هو من أوصل الرسالة؟»

رد عليها قائلاً: «لا أعرف ماذا يفعل أليكس في وقت فراغه. اسمعي، يا جينا! أنا أعرف أنك لا تشعرين بأية مودة نحوي، لكن بالتأكيد...»

قاطعته قائلة: «هذا مضحك... أنت تعاملني مثل عدو منذ اللحظة الأولى التي اكتشفت فيها أنني من أقارب عائلة أندرسون!» لقد كانت جينا ترتجف من رأسها حتى قدميها. ثم تابعت: «وكل هذا بسبب حادث حصل منذ وقت طويل.»

اقترب منها وأمسكها بذراعها وعيناه مليئتان بالغضب وقال لها: «شقيقتي وابنتها ماتتا بذلك الحادث. حادث لم

يكن قد حصل لولا اغواء ستيوارت أندرسون لشقيقتي.»

حملقت جينا بعينيه المتأججتين غضباً وقالت: «وكيف تستطيع أن تكون على ثقة من ذلك؟ ألم يتبادر إلى ذهنك بأنك قد تكون مخطئاً؟ لربما كان هناك تفسير مغاير للتفسير الذي تعطيه.»

«لا أحتاج لأن أعطي لنفسي أية تبريرات، فكل شيء كان واضحاً. أعتقد أن ابن خالتك المصون قد أخبرك قصة كاذبة...»

«لم يخبرني ستيوارت أي شيء. لقد قال بأن هذا ليس من شأن أحد. فهذا يخصه هو وشونا. وإذا كنت تريد أن تستمر في تصديق الأكاذيب عن شقيقتك بدلاً من أن تصغي للحقيقة. فهذا شأنك أنت.»

أخيراً، وبكل صعوبة، قال بصوت خافت: «إن أندرسون هو الذي يكذب.»

قالت بكل هدوء: «هل أنت متأكد؟ هل سألته مرة ماذا حصل بينه وبين شقيقتك؟»

هزَّ رأسه نافياً أن يكون قد سأله شيئاً من قبل.

«وكيف لك أن تقول بأنه يكذب، طالما هو لم يقل أي كلمة.»

أجابها بتوتر: «ليس عليه أن يقول أي شيء. لقد كان رجلاً مميزاً بالنسبة لشونا. فهو لديه تأثير على بعض النساء. وبالطبع يسهل عليه أن يجعلك تصدقينه.»

عاد الغضب يسيطر على جينا. «فقط عندما يقول الحقيقة. أنا مختلفة عنك، فكل ما أهتم به هو الحقيقة.»

رد عليها مستهزئاً: «هل أنت متأكدة من هذا؟ أندرسون

ذو شخصية جذابة، وأنا أعترف له بذلك، ولكني أعتقد بأنك قادرة على تجاوز هذه المظاهر للتعرف إلى الشخصية الحقيقية.»

قالت بلهجة ساخرة: «تعني أن هذا أسلوبك أنت؟ سامحني إذا وجدت هذا مسلياً... وخاصة من رجل مثلك، متأهب ليثأر من شخص من دون إعطائه أية فرصة ليبرىء نفسه. حتى أنك تضمر الكراهية لأقرباء هذا الشخص الأبرياء، حتى ولو كانوا بعيدين، أم صغاراً.» لقد ازداد غضبها لتفكيرها كيف أن شقيقتها جاءت تركض عند دانكن فرغسون.

«هذا ليس صحيحاً.»

صرخت وقالت: «أليس هذا صحيحاً؟ إذن لماذا أغريت سوزي لتأتي إلى هنا، بحجة أن لديك شيئاً تريدها أن تراه؟»

أنكر هذا قائلاً: «لم أغرها. كل ما هنالك أن لديَّ شيئاً أردتها أن تراه، لكني لم أخبرها. فمن المحتمل أن أليكس ذكر هذا أمامها.»

«تبعاً لأوامرك.»

«لا أريد حتى أن أرد على هذا.»

سألته بتحدٍ: «إذن! ما هو هذا الشيء الخاص؟»

في هذه اللحظة التفتت لترى سوزي واقفة على باب الاسطبل.

«أوه، جينا! تعالي وانظري! دانكن لديه جواد أسود جديد. إنه جميل جداً.»

تساءلت جينا، وهي تشعر بالندم، إذا كانت شقيقتها قد سمعت النقاش الذي دار بينهما.

ارتبك هو بدوره لعدم ملاحظة وجود سوزي.

قالت جينا متلعثمة: «أ... أود ذلك، صغيرتي، ولكنني اعتقدت بأنك تريدين أن تشاهدي المهرجان. يبدو أنهم قد بدأوا.»

قالت سوزي: «نعم، أنا أعرف، ولكن ألا نستطيع أن نبقى قليلاً؟ ألا تريدين أن تري ميدنايت ساتِن؟ دانكن قال لي بأني أستطيع أن أعطيه اسماً، وقد اخترت هذا الاسم بنفسي. إنه جميل جداً، وأنا أكيدة بأنك ستحبينه.»

فيما وقفت جينا ثانية في مكانها، تصارع لتجد مخرجاً من حيرتها، جالت نظراتها فوق وجه دانكن. كان يراقبها وهو مقطب الجبين، وبدا واضحاً أنه ينتظر نتيجة معركتها هذه.

عندما بقيت واقفة في مكانها من دون حراك، اقترب دانكن منها وأمسك بذراعها وقال: «ربما جينا تستطيع أن تأخذ دقيقة أو دقيقتين فقط من وقتها لتلقي نظرة.»

هتفت سوزي مسرورة: «أوه، هذا عظيم!» ثم اندفعت وأمسكت بيده الأخرى، وجرتهما معاً إلى الاسطبل حيث كان الحصان الصغير واقف.

«انظري! أليس هو أجمل جواد في العالم؟»

لم تستطع جينا أن تنكر بأن ميدنايت ساتِن كان جميلاً.

«إنه رائع.»

قالت سوزي بسعادة بالغة: «لقد قال دانكن إنه سيعلمني أن أمتطيه. وقال إنني أستطيع أن آتي في أي وقت لأنظفه وأهتم به...»

قاطعتها جينا: «يبدو أن دانكن يقول أشياء كثيرة،

ولكنه لا يفهم بأننا سنرحل من هنا في وقت ليس ببعيد.»

بادرتها سوزي بسرعة قائلة: «لماذا علينا أن نفعل هذا. فأنا أفضل أن أبقى هنا أكثر.»

ردت جينا بعقلانية: «لأنه لدينا منزلنا الخاص بنا، يا سوزي، فعليَّ أن أدفع الإيجار، ولا أستطيع أن أفعل هذا من دون عمل. عليَّ أن أعود لأجد عملاً آخر.»

قاطعها دانكن: «خسرت عملك؟»

«نعم، فالمدرسة التي علّمت فيها كان عليها أن تخفف من المصاريف، وبما أنني كنت آخر من دخل إليها، فقد وقع الاختيار عليَّ.»

اقترب منها وهمس في أذنها: «كل هذه المشكلات تُحل إذا تزوجتني.»

لقد سُرت جينا لأنه همس في أذنها من دون أن يجعل سوزي تشعر بهذا. «سيبقى جوابي لا، حتى ولو تضاعفت مشكلاتي عشرات المرات.»

«كوني عقلانية، يا جينا. على الأقل دعينا نناقش الموضوع.»

«ماذا بامكانك أن تقول بموضوع لا أريد سماعه؟ فمن الواضح أنك تكرهنا جميعاً لدرجة أنك قادر على إيذاء سوزي. فلماذا تعدها بأشياء وأنت تعلم أنها غير ممكنة.»

أجاب باصرار: «إنها ممكنة، وأنت تعرفين هذا.» وأمسك يديها على الرغم من محاولتها الافلات منه. «إذا تزوجتني...»

ضحكت جينا لتخفي طعنة الألم التي سرت في جسدها وقاطعت كلامه قائلة: «كيف لي أن أتزوج رجلاً لا أحبه؟»

قال وهو ما يزال يمسك بيديها: «ربما لم تحبيني. لكنك تريديني. على الأقل هذا ما أعرفه.»

أجابت جينا وهي تصارع لتنقذ كبرياءها: «إذا كنت تعتقد هذا. فاستمر بذلك.»

قال لها وقد ارتسمت ابتسامة ساخرة فوق شفتيه: «أستطيع أن أبرهن هذا، هل تريدين أن أفعل؟» كان يهمّ بعناقها، وعلى الرغم من كل شيء، كانت تدرك بأن هذا أكثر من أي شيء آخر.

قالت له متحدية باستهزاء: «أمام سوزي؟ ولم لا؟ مشهد آخر يثير الأشمئزاز، أنا متأكدة.»

تأوه، واختلس نظرة إلى سوزي. مما جعلها تشعر بالراحة، ثم حرر يديها، وقال: «سيكون هناك مرات أخرى، وسنرى.»

ابتعدت عنه واقتربت من سوزي، وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها وقالت: «إذا كنت جاهزة، يا سوزي، فمن الأفضل أن نلقي نظرة على هذا المهرجان قبل أن ينتهي.»

بنظرة أخيرة إلى ميدنايت ساتن، سمحت سوزي لنفسها بالابتعاد.

الفصل التاسع

ثبّتت جينا سترتها جيداً حول كتفيها عندما شعرت بلفحة هواء باردة تخترق جسدها من خلال ثيابها. تلبدت الغيوم في الأفق، وكأن الجو ينذر بهبوب عاصفة. يجب أن تعود أدراجها، لكن فكرة أن تتظاهر بالمرح، وبأن قلبها ليس جريحاً، كانت أقوى من أن تتحمل. كان يوم أحد، ولم يكن هناك عمل ليشغل فكرها وطاقتها. لقد ساعدت خالتها في تحضير الغداء بكل رباطة جأش، ولكن عندما تطوع ستيوارت بالمساعدة بدأت تفقد أعصابها. لقد حاول أن يخرجها من كآبتها، ولكن الأمور جاءت خلاف ذلك.

لقد شعرت بألم في رأسها، ولم تجد مخرجاً إلا أن تترك البيت وتخرج.

الآن أصبحت بمفردها على الطريق المهجورة، تفكر بدانكن. شعرت بأنه يسيطر على كل أحاسيسها ومشاعرها. لقد كان محقاً... فهي أرادته فعلاً. الشيء المؤكد هو أن لديه سحراً خاصاً.

ربما الطريقة الوحيدة لتسلم من جاذبيته هي أن تترك غلينري. وببساطة تأخذ سوزي وترحل. لكن قول هذا أسهل من تنفيذه في الوقت الحاضر.

بدأ يخيم الظلام في سرعة فنظرت جينا إلى السماء وأحسّت فجأة بنقاط من المطر ترتطم بجبينها، يجب أن تجد مكاناً تلجأ إليه، وإلا أغرقها المطر.

شاهدت، إلى يمينها طريقاً تقود إلى الغابة، وقد تذكرت جينا وجود كوخ يبدو كئيباً. فربما استطاعت أن تطلب من قاطنيه الاحتماء من العاصفة.

وضعت سترتها على رأسها وكتفيها. عندما أنهمر المطر، وأخذت تعدو. كانت الطرق وعرة ونوافذ الكوخ غير مرحبة. ثم رأت الكوخ من بعيد. ولم تتأكد من خلوه إلا عندما اقتربت منه.

لم يكن الباب الأمامي مقفلاً. وبتردّد دفعته ودخلت. قادها المدخل مباشرة إلى غرفة صغيرة. كان الأثاث مغطىً بخيوط العنكبوت، وشاهدت جذوعاً من الأشجار نصف محترقة في الموقد.

كان الجو مخيفاً، وكأن السكان الذين كانوا في هذا المكان قد اختفوا في يوم واحد، ولم يرجعوا أبداً. كانت سترتها مبللة، ولكن هذا أفضل من لا شيء. ولفّت نفسها بها، ونظرت إلى جذوع الأشجار متسائلة عما إذا كان بمقدورها أن تشعلها من جديد.

لأول مرة منذ أيام خلت، انشغل رأسها بشيء آخر غير دانكن، وذلك عندما دفعها فضولها لتفقد ارجاء الكوخ. لقد كان صغيراً، ولكنه مريح. أما الأثاث فيعود إلى قرنٍ مضى. وشاهدت مغسلة في زاوية غرفة النوم الوحيدة المزدوجة.

خفّ صوت المطر فيما كانت تتفحص محتويات الكوخ، وفجأة أصدرت صرخة قوية عندما تراءى لها شبح أمامها. أخيراً قالت: «أنت... أنت أرعبتني.»

سألها دانكن فرغسون: «ماذا تفعلين هنا؟»

حملقت به جينا وقالت: «أعتقد بأنه شيء واضح. فأنا

أحتمي من العاصفة. لقد كنت فضولية، لذلك ألقيت نظرة على الكوخ، فصاحبه ليس هنا ليمانع.»

«يبدو أن الفضول ميزة دائمة في شخصيتك.» وتبعها إلى غرفة جلوس صغيرة متابعاً كلامه: «أنت مخطئة. فصاحبه هنا، وربما يمانع.»

نظرت إليه وقالت: «أنت؟ أنت تملك هذا الكوخ؟»

«نعم. إنه جزء من أملاكي.»

ضحكت لأن هذا ليس مستغرباً وقالت: «لو كنت أعلم بهذا لتركت نفسي ابتل بالمطر.»

«إذن لكنت غبية.»

توجه نحوها، فابتعدت عنه. ولكنه تجاوزها واقترب من الموقد.

«هل أنت مبللة؟»

«قليلاً. فقد لجأت إلى هنا قبل أن تمطر بغزارة.»

جثا قرب الموقد وقال: «لم أكن محظوظاً. لنرى إذا كنا نستطيع أن نشعل النار. فأنا بحاجة إلى أن أجفّف ملابسي.»

وقفت جينا تراقبه وهو يلملم بعض الصحف القديمة والأوراق، ثم وضعها بجانب قطع الحطب في الموقد.

قالت له: «عندما يتوقف المطر، سأرحل.»

قال بصوت جاف: «في هذه الحالة، عليك أن تريحي نفسك.» وبقي مركزاً نظره على الحطب محاولاً أن يشعله. وتابع قائلاً: «هذه العاصفة ستستمر لساعات.»

تأوهت جينا بصمت وسألت نفسها. هل تستطيع أن تصمد لساعات؟ إذا اقترب... إذا لمسها... فهي لن تستطيع أن تصمد لعدة دقائق.

التفت إليها بسخرية وقال: «ماذا تفعلين وحدك تحت المطر؟ أليس هناك شيء مسلٍ في المنزل؟»

رطبت شفتيها الجافتين، فهي لم تكن راغبة في أن تتشاجر معه ثانية اليوم.

قالت له: «كان عندي ألم في الرأس. ثم أن هذا ليس من شأنك.»

«أنت على ممتلكاتي. هذا هو شأني.»

قالت تجادله: «لم أكن على علم في حينها. فهل تريدني أن أعتذر؟»

ضحك ثم قال: «هذا يتوقف على الطريقة التي تنوين تقديم الاعتذار بها.»

«بصراحة، لا أنوي.» لقد تسرب الماء من خلال ثيابها إلى جسمها، وهذا ما جعلها ترتجف.

نظر إليها وقال: «سأجعل النار تلتهب حالاً. وتستطيعين أن تخلعي ملابسك الرطبة وتجفيفيها.»

أجابته باستهزاء: «لا، شكراً. أفضل أن أبقى مبللة.»

عندما انتهى من إضرام النار، انتصب واقفاً، ومن دون أن ينظر إليها خلع قميصه. فما كان منها إلا أن أغمضت عينيها لكي لا تراه يخلع ثيابه. وتساءلت عما قد يحدث لاحقاً.

قال لها: «صراحة، إني آتي إلى هنا في بعض الأحيان عندما أكون عائداً من الصيد، وعادة أقضي ليلة هنا من وقت لآخر من أجل تهوئة المكان.» اقترب منها شيئاً فشيئاً ضمّها بين ذراعيه، وعانقها، وحاولت جاهدة أن تقاومه وتبعده عنها، ولكنها كانت أضعف من أن تفعل هذا. ثم وبعد عراك ليس طويلاً، استطاع أن يسيطر عليها، واستسلمت لعناقه ثم

قال لها: «والآن أخبريني بأنك لا تريدين، يا جينا. أنت لي. أنت تنكرين هذا في الكلام، ولكن عواطفك لا تكذب.» لم تستطع جينا أن تنكر هذا. فقد استسلمت له وكأنها نعجة جاءت إلى المذبح بنفسها.

ما زالت العاصفة مستمرة، حيث كان البرق يخترق الغرفة وينيرها، ويليه الرعد وكأنه هدير فرسان الانتقام، وأصبح هذا الصوت كأنه صدى لنبضات قلبها.

كان دانكن نائماً باسترخاء، يبتسم وكأنه طفل صغير.

أما جينا فكانت تصغي إلى صوت تنفسه وتراقبه وهي مندهشة كم يبدو طفولياً!

كانت متوترة الأعصاب وهي غارقة في التفكير. لقد ربح دانكن المعركة ولا فائدة من الندم على شيء لا يمكن تغييره. ولكنها لم تستطع إلا أن تتساءل عن نتيجة خطأها.

لقد انتقم دانكن... وانتهت مهمته على النحو الذي أراد، ماذا بعد هذا كله؟ هل اكتفى الآن إلى ما وصل إليه؟ أم أنه يحلم الآن في نوع آخر من التعذيب؟ قاومت رغبة شديدة في البكاء، فهي لا تستطيع أن تتصور كيف ستعيش في المستقبل من دونه. فهو ما يزال يجذبها إليه حتى وهو نائم.

أخيراً، انسحبت من السرير بكل حذر، واستطاعت أن ترى من النافذة أن العاصفة قد هدأت والشمس قد أطلقت بعض خيوطها الخفيفة. وبحذر شديد، خشية أن توقظه، ارتدت جينا ثيابها وهربت من الكوخ تاركة وراءها دانكن مستغرقاً في نوم عميق.

الفصل العاشر

دخل ستيوارت المكتب بينما كانت جينا منكبّة على الحسابات.

قال بانزعاج واضح: «عندما طلبت منك لويز أن تساعديها، لم تكن تعني بأن تعملي حتى آخر رمقٍ.»

تنهدت جينا ثم تركت قلمها ونظرت إليه، وقالت: «إني على وشك أن أنهي حساباتي. فإذا تركتها فستتراكم فوق بعضها البعض.»

نظر إليها والابتسامة غائبة عن شفتيه.

«ما الذي يزعجك، يا جينا؟ أتمنى أن تتحدثي عن ذلك.»

أشاحت بنظرها عنه، فقد كانت تريده أن يعتقد بأن سبب كل هذا يعود إلى التعب، ولكن يبدو أنه كان الأسهل أن تكون صريحة.

«إنه ليس شيئاً أستطيع التحدث عنه، يا ستيوارت.»

«ولا حتى لي أنا، يا جينا؟»

هزّت رأسها وقالت: «ولا حتى لك.»

ليس حتى لنفسها، فكرت بمرارة وبقيت صامتة. فهي لا تريد أن تتذكر، فالذكرى تؤلمها. استرجعت صورته كيف كان نائماً كالطفل. تلك الذكريات التي تجمّعت في ليالي وحدتها أصبحت شياطين تعذبها وتجعل مستحيلاً عليها أن تنام في الليل أو أن تجد السلوى في العمل في النهار.

اقترب منها ستيوارت وأمسك ذقنها بيده قائلاً: «إنه

فرغسون، أليس كذلك؟ ماذا حصل لك عندما كنت في منزله؟ هل استغل الوضع واعتدى عليك؟»

لقد رأى الجواب واضحاً في عينيها، حين احمرّ وجهها: «لقد فعل ذلك؟ أليس صحيحاً؟»

«لا، لم يفعل. ليس عندما...» ومنعت نفسها من أن تبوح بسرها الدفين: «إنه... إنه... ليس كذلك.»

«إذن ما الخطب؟»

ارتابت من الحاحه الشديد وقالت: «أرجوك يا ستيوارت، هل نستطيع أن نكف عن هذا الموضوع؟»

ضرب كفيه بعضاً ببعض، والغضب ظاهر على وجهه ثم قال لها: «إذا أصابك بمكروه بطريقة أو بأخرى... سوف...»

اقتربت من المكتب لتقف أمامه ثم قالت: «أوه، يا ستيوارت. لم يفعل. فلننه هذا الموضوع، أرجوك!»

لا منفعة من الكلام، ولا حتى من التفكير بهذا الأمر الآن. فمنذ ذلك اليوم في الغابة، وقد مضى اسبوعان عليه، ولم تسمع عنه شيئاً. لقد كان جنوناً ما فعلته.

اقترب ستيوارت منها ولثم جبينها قائلاً. «أنا آسف، يا جينا. لم أرد أن أزعجك. ما رأيك بأن نخرج إلى البحيرة؟»

تردّدت جينا. إنه أمر لا يحتمل، فذكرى دانكن تؤلمها كثيراً جداً. ولكنها لا تستطيع أن تبقى مقيّدة هكذا إلى الأبد.

قالت بإشراقة مفاجئة: «حسناً، لقد ربحت.»

اصطحبا، جينا وستيوارت، سوزي إلى البحيرة، وأخذا يراقبانها وهي تفتش بين الصخور قرب الشاطىء، عن حصى مميزة.

أدار ستيوارت وجهه نحو جينا وسألها: «إذا لم يكن السبب فرغسون، فما الذي يجعلك غير سعيدة؟»

تنهدت جينا. من الواضح أنه لم يستسلم وقالت: «أنا لست غير سعيدة.»

لم يكن ما قالته صحيحاً. فكلاهما يعرفان هذا.

قال برقة: «تبدين كشخص أحب ثم فقد حبيبه. فأنا أعرف هذه المعالم، ولطالما أحسست بها.»

نظرت فجأة إليه، وعيناها مليئتان بالحنان والعطف. «أوه، يا ستيوارت! هل كنت مغرماً بشونا؟»

إنها اللحظة المناسبة لتسأله.

تنهد وقال: «لسوء الحظ لم يكن الشعور متبادلاً. كانت شونا تحب زوجها، وكان مضطراً لأن يسافر كثيراً بحكم عمله، وأحياناً كان يغيب شهوراً، وعندما يكون بعيداً تبقى هي في غلينري.» ثم تنهد ثانية ونظر بعيداً وكأنه يتفرس بالماضي البعيد.

تابع قائلاً: «لقد كانت وحيدة، فلجأت إليّ كصديق. فمن وجهة نظرها، كانت صادقة. ولسوء الحظ لم يكن الشعور نفسه بالنسبة لي. لذلك تركت غلينري وذهبت إلى أدنبرغ. لقد كان يؤلمني أن أراها دائماً.»

«لكن دانكن يعتقد بأنها قد لحقت بك. ألا تعتقد بأنها اشتاقت إليك بعد أن رحلت حين تأكدت من أنها تحبك بعد كل هذا؟»

ضحك ضحكة حزينة وقال: «لا، هذا ليس صحيحاً. لقد كان زوجها هو من أحبته، وكان لديهم شقة في أدنبرغ. واعتقد بأنها كانت ذاهبة لتنتظره. شونا لم تحب غلينري

بالطريقة التي يحبها فرغسون. وربما هذا ما كان صعباً عليه أن يتقبّله.»

تمتمت جينا: لو أنه كان ممكناً أن تقرّب الرجلين اللذين أحبا شونا فرغسون، ولكنها كانت تعرف بأن هذا ليس ممكناً.

سألت ستيوارت بحنان: «ألا يزال هذا يؤلمك؟»

ابتسم وقال: «لم أعد أنظر إلى نفسي في المرآة في الفترة الأخيرة. فالنظر إليك يشغلني باستمرار.»

رمقته جينا وهي تتوقع أن تجد الاستفزاز في عينيه ولكنه بدا جدياً.

أمسك يدها وشدّ عليها قائلاً: «أنا مسرور بأنك أتيت إلى غلينري.»

وافقته الرأي وقالت: «وأنا كذلك. ولكني أفكر الآن في الرجوع إلى منزلي. فعليّ أن أجد وظيفة أخرى.»

قال لها: «لقد حصلت على عمل هنا.»

اعترضت جينا قائلة: «إنها وظيفة لفصل الصيف فقط. فقريباً يخفّ العمل لديكم ولن تعودوا بحاجة لي، هذا إلى جانب أن ماريان سترتاح أكثر عندما أرحل. فأنا سبب عدم مجيئها كثيراً إلى المدرسة.»

ردّ ستيوارت مبتسماً: «أنتِ على حق. ماريان ما استطاعت أبداً أن تتقبّل المنافسة، ولكن إذا كان أمر ماريان يزعجك، فلا تهتمي لها. هي عازمة على بيع حصتها في المدرسة.»

تعجبت جينا ثم سألت: «لكن لماذا؟»

هز كتفيه وقال: «من يعلم؟ لكنها لمّحت إلى

أن فرغسون يريد أن يصنع منها امرأة شريفة أخيراً.»

تجمد الدم في عروقها، وبسرعة بدا وجهها وكأنه يحترق، ولحسن الحظ لم يكن ستيوارت ينظر إليها، لذا تمكنت من أن تسأله وهي ترتجف: «أنت... أنت... تعني بأنه سوف... يتزوجها؟»

ضحك ستيوارت وقال: «هذا ما لمسته. أنا لست مندهشاً. فربما يعتقد فرغسون بأنه حان الوقت ليستسلم لأنه يعرف بأن ماريان تحصل على ما تريد... في النهاية.»

لقد كان من الصعب عليها أن لا تظهر توتراً وتشنجاً، ونظرت بعيداً عنه إلى حيث التقت السماء بالأفق عبر البحيرة المتلألئة، لقد كان المشهد ساحراً، ولكنه أثر فيها بطريقة سلبية. لقد انتقم دانكن... واكتفى بذلك.

إنه لم يتأثر بكل الذي حدث بينهما، لقد جعل منها سجينة.

كانت سوزي لا تزال تحوم حول الصخور مشغولة بعملها الخالي من أية هموم، بخلاف جينا المشغولة البال.

مما لا شك فيه الآن هو أن دانكن لم تكن لديه أية نية للزواج من جينا. وعرضه للزواج كان مجرد جزءاً من خطته من أجل إذلال وتعذيب ابنة خالة الرجل الذي يكره. فلو قاومته في الكوخ هل كان استمر في خداعه؟

حتى الآن، أجّلت التفكير بمستقبلها. فعلى الرغم من كلامها مع ستيوارت عن بحثها عن وظيفة، فهي لا تتصور نفسها بعيدة عن هذا المكان... عن هؤلاء الناس.

سألت وهي تحاول عدم إظهار ارتباكها: «ماذا ستفعل إذا باعت ماريان حصتها ورحلت؟»

التفت ستيوارت إليها وتعابير السخرية على وجهه. «لا أعلم. ولكني أعتقد بأني سأشتري حصتها وأدير المدرسة بمساعدة شخص قدير، ثم شملها بنظرة وقال: «ماذا لو تقدمت لهذه الوظيفة؟»

نظرت إليه متسائلة إذا كان عرضه جدياً فعلاً.

«إذن، ماذا تقولين، يا جينا؟ هل ترغبين بذلك؟»

كانت لا تزال تحت تأثير خبر زواج دانكن وماريان وعرض ستيوارت غير المتوقع، فما كان منها إلا أن هزّت رأسها قائلة: «آه، يا ستيوارت. لا أستطيع.»

من المستحيل أن تعيش في غلينري ودانكن على بعد أميال فقط متزوج من ماريان.

كانت على وشك البكاء، ونظر إليها ستيوارت وكأنه أدرك امراً، فجأة.

«أنت غبية بائسة، إذن هو فرغسون بعد كل هذا.» ضحك ثم قال: «حسناً، فأنا البديل... إذا كنت ترغبين.»

اتسعت عيناها باندهاش وهزّت رأسها بكل حزن.

تابع ستيوارت قائلاً: «أستطيع أن أقرأ كل أفكارك. خسارة، ربما كنا مناسبين لبعضنا البعض.»

تمنت لو أنها تشعر بشيء أكثر من كونه ابن خالتها... عندها باستطاعتهما أن يساعدا بعضهما بعضاً على التخلص من أشباح الحب غير المتبادل. ويكون من الممكن أن تحل مشكلات كثيرة بالنسبة له، ولها، ولسوزي.

«أوه، يا ستيوارت. أنت تستحق أكثر من أن تكون البديل.» ثم وضعت ذراعيها حول خصره وعانقته بكل هدوء.

سمعا فجأة صوتاً ساخراً من خلفهما يقول: «هل هذه حفلة خاصة؟ أم باستطاعة أي شخص أن ينضم إليها؟»

ميزت جينا فوراً ذاك الصوت الحاد، وابتعدت عن ستيوارت.

تابع دانكن قائلاً: «أوه، من فضلكما لا تدعونا نزعجكما. تابعا.»

شعرت جينا بأن ستيوارت قد تجمد في مكانه والغضب يتطاير من عينيه. فوضعت يدها على ذراعه لتهدئه.

أخذ قلبها يدق بسرعة جنونية. لقد شعرت بسعادة مفاجئة لوجود دانكن هناك... مع أنه كان ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة فاترة.

قالت له: «إذا كنت لا تريد إزعاجنا، فلماذا فعلت؟»

إزداد الاحمرار على وجنتيها حالما شعرت أن شخصاً آخر ينظر إليها... لقد كان دانكن بصحبة ماريان.

قالت ماريان برقة: «ألم أقل لك، يا عزيزي، إن هناك شيئاً ما يجري. فمن الواضح أننا غير مرغوب بنا. فلنرحل عن هذا المكان.»

نظر دانكن إلى ماريان وقال: «اصبري، يا ماريان، اجلسي قليلاً.»

هبَّ ستيوارت واقفاً على الرغم من أن جينا كانت تمسك بيده.

«ألا تستطيع أن تفهم، يا فرغسون؟»

وقفت جينا أيضاً حيث بدا عليها أنها خائفة من التشنّج بين الرجلين.

تبادل دانكن وستيوارت النظرات الحادة.

قال له: «لا تهتم، فنحن لن نبقى طويلاً.» وتابع مخاطباً جينا: «أين سوزي؟»

فوجئت جينا بهذا السؤال، ثم أشارت إلى شقيقتها حيث كانت تجلس على صخرة: «إنها تصطاد السلطعون.»

قال لها دانكن: «تبدو وكأنها وجدت شيئاً.» ثم أمسك دانكن بيد جينا وقال: «لنذهب ونلقي نظرة.»

قالت ماريان بسخرية: «خذ وقتك. أستطيع أن أنتظر.»

نظر ستيوارت إلى جينا وقال: «ليس عليكِ أن تذهبي معه.»

رأت سوزي دانكن من بعيد فلوَّحت له بيدها بكل إثارة وقالت له: «تعال وأنظر. إنه كبير.»

نظرت جينا إلى ستيوارت وكأنها تطلب منه أن يتفهم الوضع، ثم سمحت لدانكن بأن يجرَّها معه.

بعد برهة قصيرة سألته: «لماذا أتيت إلى هنا؟»

كان غير مبالياً بغضبها، ثم نظر إليها وقال: «جئت إلى هنا لأتنشق الهواء المنعش. فلم أعرف أنكِ هنا. فالحظ كان إلى جانبي ووفر عليَّ معاناة إيجادك.»

رفعت ذقنها بفخر والتقت نظراته وسألته: «ولماذا عليك أن تفعل هذا.»

أبعد خصلة من شعرها عن وجهها ورد عليها قائلاً: «مارتن هذا... الرجل الذي كنت مخطوبة له... القصة لم تكن جدية؟»

تجهم وجهها، حيث أحسّت برعشة في داخلها. آه، يا إلهي! لقد عرف.

ردَّت عليه قائلة: «ماذا تعني؟»

قال بتوتر باد على وجهه: «أنت تعرفين ماذا أعني.»

وأجابته جينا بكل توتر محاولة الدفاع عن نفسها: «لا. ربما تعتقد الآن بأنني من الطراز القديم، لكنني لا أندّس في فراش...»

وتوقفت عن الكلام، وبدأ قلبها ينبض بقوة عندما رأته ينظر إليها.

سألها بكل لطف: «لماذا هربت من الكوخ؟ كان عليك البقاء.»

ابتعدت عنه قليلاً محاولة أن تتجنب الاحتكاك به. ثم قالت وبكل كبرياء: «لماذا؟ لأعطيك فرصة تظهر فيها انتصارك أكثر فأكثر؟ لقد حصلت على ما تريد. ألم يكن ذلك كافياً؟»

رد عليها بتوتر: «ليس هذا كل ما أردت.»

اتسعت حدقتاها غير مصدقة: «أتعني بأن هناك أكثر؟»

ابتسم ببرود وقال: «قليلاً. لقد سألتك الزواج.»

لم تصدق جينا أذنيها. فهو ما يزال مصمماً على المضي بتلك اللعبة. لقد أخذ كل ما تملك، ولا يزال يطلب المزيد.

ردت عليه بشراسة: «لقد أعطيتك جوابي. وهو لا.»

اقترب فجأة منها وأمسك كتفيها بيديه القاسيتين كالفولاذ.

«ربما أندرسون هو السبب. فما رأيته اليوم لم يكن المرة الأولى لتبادليه الحب.»

حملقت به، محاولة أن تفهم ماذا يعني، ثم تذكرت عناق ستيوارت يوم ذهبا إلى القرية.

«لم يكن تبادلاً للحب... وعلى أي حال، هذا ليس من شأنك. وبكل لطف أطلب منك أن تتوقف عن التجسس علي.»

«لم يكن تجسساً. لأنك لم تخجلي من عناقه علناً.»

أرادت أن تصدّه بقسوة ولكنها أمتنعت وقالت: «نحن نفعل هذا دائماً، فمن الصعب أن تخفي الحب الحقيقي.»

شدها بقوة وقال: «وماذا يعرف أندرسون عن الحب؟ وبالمناسبة هل يعرف بأنه قد تأخر كثيراً؟ وأنك لي أنا...؟»

أحسّت بصدمة قوية، لقد انتقم وما يزال يريد الخداع.

«أتذكرين، يا جينا؟ أنا لن أدعكِ تنسين.» وهمّ بعناقها، لكنها أبعدته عنها، فلن تدعه يربح ثانية.

أجابته بطريقة لاذعة: «عندما يبادلني ستيوارت الحب فهذا شأنه، وسأتزوجه.» هذه الكلمات ملأتها رعباً عندما لاحظت النظرة القاتمة في عينيه.

قال بصوت خافت وبارد كالجليد بعث فيها موجة من القلق: «على جثتي.»

قاطعتهما سوزي قائلة: «لماذا تأخرتما، فقد اصطدت سلطعوناً كبيراً، ولكنه فرّ.»

نظر دانكن إلى سوزي وببطء رجع اللون إلى وجنتيه وارتاحت أساريره. ثم رد عليها قائلاً: «كنا نناقش موضوعاً هاماً أنا وشقيقتك. لم ننته منه بعد، لكن الآن نستطيع أن ننتظر.» وأخذ يداعب شعر سوزي بيديه.

سألته سوزي: «كيف حال ميدنايت ساتن؟ هل أصبح جاهزاً للركوب؟»

«ليس بعد، ولكن الأمر لن يطول.»

تعجبت جينا كيف أن صوته عاد إلى طبيعته الآن. «عندما يصبح جاهزاً، هل أستطيع أن أمتطيه.»

«ولم لا. طالما أن هناك من يهتم بك ويتأكد من أنك لن تصابي بأذى.»

صرخت جينا بصمت: توقفا عن هذا. لقد أحسّت بعذاب أليم. ألم يكن هناك أي سلاح يستخدمه ضدها أفضل من شقيقتها؟

لكن سوزي لم تشعر بأي توتر بينهما، لذلك سألت دانكن: «هل أستطيع أن آتي غداً؟»

قال بسرور ظاهر: «من الأجدر أن تسألي شقيقتك عن هذا، فإذا وافقت يسعدني أن أراكما معاً...»

كيف تجرأ وجعل سوزي تطلب هذا مني؟ فهو يعلم جيداً بأنها إذا رفضت فلن تكون على ما يرام مع شقيقتها. ونظرت إليه بنظرة مليئة بالكراهية، فلم يكن منه إلا أن قابلها بابتسامة هادئة. اللعنة عليه آلاف المرات!

أخذت سوزي تتحايل على جينا: «أرجوك، يا جينا. هل نستطيع؟»

حاولت جينا أن تتهرب من الرد على شقيقتها فقالت: «هل نتكلم في الموضوع لاحقاً، يا سوزي؟»

لكن سوزي أصرّت ونظراتها مليئة بالرجاء: «نستطيع أن نذهب غداً، أليس كذلك؟»

لقد نزف قلب جينا لخيبة أملها، ولم يكن منها إلا أن قالت: «ربما، إذا لم يكن غداً، فربما يكون يوماً آخر.»

لم تكن تريد أن تفعل هذا... أن تعطي سوزي أملاً... لكن هذه هي الطريقة الوحيدة، إلى أن تجد تفسيراً آخر يرضي الصغيرة. «أرجوك، يا جينا. أريد رؤية ميدنايت. وإذا لم تأخذيني، فسوف أذهب وحدي. كما فعلت المرة السابقة.»

ركعت جينا وأمسكت بشقيقتها وقالت لها: «سوزي، إصغي إليّ. في المرة السابقة كدت تقتلين. أريد منك وعداً بأنكِ لن تقومي بعمل خطر مرة ثانية.»

«لن أعدك! فأنا أريد أن أتعلم ركوب ميدنايت، ولن تستطيعي أن توقفيني.»

صرخت جينا يائسة وقالت: «سوزي، أرجوك.»

لكن سوزي ابتعدت عنها وراحت تركض باتجاه الشاطىء.

نظرت جينا بغضب إلى دانكن فرغسون وقالت: «هل رأيت ماذا فعلت؟»

«هل تعنين أنه من الخطأ أن أعبر عن سروري لفكرة رفقتك؟»

أجابته: «ليس لهذا أي علاقة بالموضوع وأنت تعلم ذلك.»

رفع حاجبيه بشكل ساخر وسألها: «آه؟ إذاً ما هو الشيء الذي له علاقة بالموضوع؟»

«أنت تعلم جيداً. هل تعتقد أنني لا أعلم؟»

«لا أستطيع أن أجيب قبل أن تنيري طريقي بمعلوماتك.»

لمحت جينا فجأة ستيوارت وهو يقترب نحوهما. فإذا استمرا بالشجار عندما يصل، فربما نشب شجار بين الرجلين.

قالت يائسة: «هل تسببت بضرر بما فيه الكفاية؟ أم أن هناك شيئاً أعمق من هذا في شخصيتك وتريديني أن ألمسه فيك أكثر؟» للحظة، التمعت عيناه بالغضب، الذي كان يعكس غضبها، لكنه ابتسم بمرارة وقال بحدة: «هناك الكثير الذي

أتمنى أن يكون بإستطاعتك مشاهدته، يا جينا. ولكني كما قلت سابقاً، أستطيع الانتظار.»

«حسناً! إذا كنت لا تمانع في الانتظار إلى الأبد.» ثم تبعت شقيقتها سوزي إلى الشاطىء.

إلتقاها ستيوارت في منتصف الطريق، فما كان منها إلا أن عانقته، وشعرت بارتياح كبير عندما رأت ملامح دانكن تكتئب.

ترك دانكن الشاطىء مع ماريان، بينما وجدت جينا نفسها ترتجف من رأسها حتى قدميها، غير قادرة على التمييز. أهو ارتياح أم خوف.

نظرت سوزي إلى دانكن بحزن وهو يرحل. حاولت جينا جهدها في أن تخفف من حزنها. لكن الفتاة الصغيرة تجاهلت ذلك. فمن الواضح أن غضبها لن يزول بسرعة. والآن، بعد كل هذا، أحست جينا بعدم الارتياح. ضميرها يؤنبها الآن. فبعد أن عانقت ستيوارت، تجاوب مع عناقها. لم تكن تريد أن تعيد له الأمل في شيء لا جدوى منه.

الفصل الحادي عشر

استيقظت جينا في صباح اليوم التالي، وهي تشعر بألم فظيع برأسها، وبتعب شديد. لقد أمضت ليلة غير مريحة محاولة أن تخرج بحل لوضعها. أصبحت الأمور أكثر تعقيداً الآن، مع تعلق سوزي بغلينري، ومع كل ما يتصل بهذا المكان. الذي حصل البارحة عقّد الأمور كثيراً.

فيما هما تتناولان طعام الفطور، اقترحت جينا على سوزي بأنهما ربما من الأفضل لو عادتا إلى منزلهما، ولكن سوزي أخذت بالبكاء.

«لا أريد أن أذهب إلى المنزل، فأنا أود البقاء هنا. أنت لا تستطيعين أن ترغميني على الرحيل.»

عضت جينا على شفتها ونظرت إلى خالتها نظرة يائسة، وما أدهش جينا أن لويز هزت كتفيها غير مبالية، وتساءلت جينا عما إذا كانت لويز تعلم عن العرض الذي قدمه ستيوارت لها بمساعدته في إدارة المدرسة، لأن هذا يزيد من الضغوط عليها كي تبقى.

ترك ستيوارت المنزل باكراً لقضاء بعض الأعمال في المدينة المجاورة، وكان هذا مبعث ارتياح لجينا. بدت الكآبة على ستيوارت من خلال عينيه، ومن جراء تطفل دانكن عليهما في الأمس. شكرت الله على غيابه. بينما كانت مستغرقة في التفكير قالت سوزي: «جينا، أنت لا تصغين الي، لا أفهم لماذا لا نستطيع أن نذهب إلى

منزل دانكن اليوم. لقد وعدت في أن نتكلم بالموضوع.»

حاولت جينا أن تهدئها، فقالت: «أعرف، يا صغيرتي. ولكني لا أعتقد بأننا قادرتين على القيام بهذا، اليوم.» وساد صمت ينذر بالشؤم، وانتظرت جينا أن ترى الدموع تذرف ولكن بدا أن سوزي كانت، في هذا الصباح، متماسكة على نفسها.

قالت سوزي ببرودة: «لماذا تكرهين دانكن كثيراً؟ فهو يريد أن يكون صديقنا فقط.»

أنكرت جينا، وهي تدرك في قرارة نفسها أن هذا صحيح: «لا أكرهه، فأنا أتمنى أن يكون صديقاً لنا ولكن...»

قاطعتها سوزي بمرارة: «وهو كذلك. لكنك أنت رديئة. فأنا أكره كوني شقيقتك.» هبّت سوزي من مكانها تاركة الفطور قبل أن تنهيه.

نظرت المرأتان إلى بعضهما بعضاً بصمت.

قالت جينا بارتباك: «أتمنى أن تتجاوز هذا. فأنا لا أعرف كيف أوضح لها بأن الكره هو من جانبه هو وليس مني.»

اقتربت خالتها لويز منها، وكانت قد سمعت ما دار بينهما وقالت بتفهم: «لا تتضايقي يا عزيزتي، فربما هذا كان مجرد زوبعة في فنجان.»

تمنت جينا من كل قلبها أن يكون هذا صحيحاً.

عادت والتقت سوزي في الاسطبل، وقد بدا عليها العناد والحزن، ورفضت اغراءات جينا بأن تخوض معها أي حديث.

تألمت جينا وحزنت كثيراً لما رأته من تعاسة على وجه شقيقتها. منذ وقت طويل لم تر شقيقتها سعيدة كما رأتها منذ

مجيئهما إلى غلينرى. كان أمراً مؤلماً أن تراها حزينة من جديد. لاحظت جينا في المكتب لاحقاً بعض الملفات التي كان على ستيوارت أن يأخذها معه، وكان من الواضح أنه نسيها. تجهم وجهها. لم تكن الملفات ذات أهمية قصوى، ولكن هذا سيتطلب رحلة ثانية، وهذا يعني التأخر في انجاز العمل.

قررت أن تأخذ الملفات بنفسها. الرحلة بالسيارة سوف تبعد عنها وعن سوزي الأفكار الكئيبة.

لكن سوزي قالت لها: «إذا كنت تستطيعين الذهاب إلى المدينة، فلماذا لا نذهب ونرى ميدنايت؟»

تنهدت جينا وقالت: «هذا عمل مهم جداً، يا سوزي. إنه شيء يجب أن نقوم به، وقد نستغل بعض الوقت في التسلية والمرح. نستطيع أن نتناول المثلجات. ألا تحبين هذا؟ ابتسمي. هيا ابتسمي، يا صغيرتي.»

قالت سوزي: «أعتقد أن هذا سيكون مسلّياً.»

بادرتها جينا قائلة: «صغيرتي. هيا أحضري معطفك لنذهب.»

بدا وكأن السيارة تتلاعب بها. فالمحرك لم يشتغل، واستدعت أحد العمال من الاسطبل، الذي قال لها بعد أن تفحص المحرك إنه ما يزال بارداً، ومتى سخن سيكون على ما يرام.

أخيراً انطلقتا بالسيارة، ولكن هذا لم يدم طويلاً، فقد توقفت سيارتهما على بعد ميلين من المنزل.

كان الطقس حاراً، وجلست جينا إلى جانب سوزي في السيارة، لا تعرفان ماذا تفعلان. شعرت جينا برغبة قوية للصراخ. فهي لا تفهم شيئاً عن تصليح السيارات.

نظرت إلى الطريق المهجورة وهي تفكر لو أن دانكن يظهر فجأة الآن، كما ظهر في المرة الأولى عندما حصل معهما الحادث. وبعد مرور نصف ساعة من الوقت، وعدم ظهور أي شخص على الطريق، قررت أن تمشي. ورأت أن من غير الممكن أن تعود إلى المدرسة، لذلك فالحل الوحيد هو أن تسير وسوزي على أقدامهما.

قالت جينا مؤكدة لسوزي: «من المؤكد أن هناك منزلاً قريباً من هنا، وقد نستطيع أن نتصل هاتفياً فيأتي أحد ما من المدرسة ليقلنا.»

مشيتا بضعة أميال إلى أن بدا لهما سقف مبنى. ميزت سوزي المنزل وقالت بسعادة ملحوظة: «نحن على ممتلكات دانكن. لقد عرفت بأني سآتي إلى هنا بطريقة أو بأخرى.» وأخذت سوزي تركض.

تبعتها جينا وهي تلعن القدر الذي بدا مصمماً على أن يرمي بها في احضان عدوها.

كانت خائفة من مواجهة المحتوم، فعليها أن تطلب مساعدة دانكن فرغسون مرة ثانية. ولكن إذا ساعدها الحظ، فربما لا يكون موجوداً، وتستطيع أن تطلب من أحد عماله أن يوصلها إلى المدرسة.

لكن الحظ لم يكن إلى جانبها. فما أن اقتربتا من الاسطبل، حتى خرج دانكن من أحد أبنية المنزل.

وقف صامتاً لثوانٍ، ثم أطلق ضحكة أظهرت ملامحه الوسيمة. «هذا حسن، وأخيراً حضرتما.»

ركضت سوزي نحوه وعانقته، ثم اندفعت نحو الاسطبلات لترى ميدنايت. تركت جينا لمواجهة دانكن.

خاطبت جينا دانكن: «هذه ليست زيارة اجتماعية. لقد تعطلت سيارتي ومنزلك كان الأقرب لنا.»

ابتسم بمرارة وقال: «دعيني أقول إن هذا لطف منك أن لا أراك إلا في هذه المناسبات.»

احمرت جينا وشعرت بالخجل وقالت: «لم أكن أقصد أن أكون فظة، ولكن في الحقيقة إن السيارة قد تعطلت، ولم تعد تسير.»

ورد عليها بابتسامة عريضة وقال: «إذاً السحر ينفع، بعد كل شيء.»

«أنا لا أستطيع أن أصدق أنك تقوم بأعمال شعوذة سوداء حتى تبلغ مرادك.»

علق قائلاً: «ليس أسود ربما أبيض. حسناً، ادخلي إلى المنزل، وسوف أرسل أحد الرجال ليلقي نظرة على السيارة، ونرى إذا كان بالإمكان اصلاحها.»

«سأكون شاكرة جداً لهذا، فأنا ذاهبة إلى المدينة لإنجاز عمل مهم.»

رد عليها بسخرية: «الأمور تسير على ما يرام، والظاهر أنك بدأت الخوض بمجال الأعمال الكبيرة.»

«لا أبداً. إنه عمل بسيط ويتطلب حضوري.»

وضع يده على ظهرها ليقودها إلى داخل المنزل: «أنا متأكد من هذا. وفي الوقت الحاضر لندخل ونرى إذا كان باستطاعة آني أن تحضّر لنا بعض الشاي.»

سمحت له أن يقودها إلى داخل المنزل. لم يكن هناك من مجال إلا أن تقبل ضيافته، على الرغم من أن هذا يجرح كبرياءها.

مشت إلى جانبه بصمت بسبب شعورها بالغضب وعدم الرغبة في الحديث وأيضاً بسبب كرهها لوضعها.

سألها فجأة: «هل أنت غاضبة؟»

«بالطبع لا. إنه لطف منك أن تنقذني وسوزي مرة ثانية.»

ضحك وقال: «كفي عن هذا الكلام.»

كم هو مؤلم لجينا أن تسير إلى جانبه وكتفها تكاد تلامس كتفه، ووجهه كالحجر، خالٍ من أية تعابير.

كانت آني تقف في المطبخ عندما دخلا المنزل، تماماً كما رأتها جينا عندما دخلت المنزل في المرة الأولى. اندفعت آني تحتضن جينا.

قالت آني: «إنه لشيء جميل أن أراك ثانية، يا عزيزتي.»

نظرت إليها ثانية وسألت: «هل الصغيرة معك؟»

قبل أن تهمّ جينا بالكلام أجاب دانكن: «نعم، ولكنها في الاسطبل مع ميدنايت.»

أمسك بذراع جينا وقال: «ادخلي غرفة الجلوس حيث ستحضّر لنا آني الشاي.»

كانت جينا ترتجف قليلاً. يجب أن لا تسمح لنفسها بالشعور بأن هناك ترحيباً حقيقياً بها وبسوزي. إنها ترتاب بكل شيء. فما الفائدة من ذلك؟ فهو سيتزوج من ماريان ولا ينوي أن يتابع الانتقام منها. وعلى الرغم من ذلك، شعرت، أن شجاراً سيندلع بينهما.

تأكد شعورها قبل أن يمضي وقت طويل، فيما كانت تجلس قباله، ترتشف الشاي المنعش الذي أحضرته آني. لقد أحسّت بتوتره.

قال لها: «لو لم تتعطل السيارة، لما كنت أتيت.»

«لا، لم أكن لآتي إلى هنا.»

اقترب منها وقال: «لماذا لا تأخذين طلبي بعين الاعتبار؟ لقد أخبرتني مرة بأنك تحبين هذا المكان.»

ردت عليه: «إنه منزل رائع في بقعة جميلة جداً من الريف، ولكن...»

قاطعها، وقد ظهر شيء من الحماس في عينيه: «إذن لنبدأ من هذه النقطة. إن سوزي تعتبر هذا المكان وكأنه منزلها.»

شعرت بالغضب يسيطر عليها وقالت: «نعم، فهي تشعر بهذا، بعد أن شجعتها وساعدتها كي تأخذ جانبك.»

حملق بوجهها مباشرة وقال: «دائماً تشكّين كهذا، يا صغيرتي البرية.» ولما لم تبد أي تجاوب للدفء في نبرة صوته، سألها بنبرة حادة قليلاً: «هل من الصعب عليك أن تفهمي لماذا أرحب بسوزي هنا؟»

حملقت به غير مصدقة، ألا يرى أن حب سوزي له ولمنزله يبعدها وشقيقتها عن بعضهما؟ وما كان منها إلا أن قالت: «كيف استطعت أن تفعل هذا؟ كيف تتجرأ أن تستغل سوزي بهذه الطريقة؟»

«وماذا تعنين؟ أني أستغلها؟»

أجابته بكل حماس: «تعرف تماماً ماذا أعني. فأنت تفعل أي شيء لتنتقم من ستيوارت أندرسون، أليس كذلك؟»

تغير لون وجهه. فقال: «أنا لا أنكر بأني أريده أن يدفع الثمن.»

حملقت جينا به وردت عليه بخشونة: «أنت لا تعلم ماذا حدث بالفعل. لا تريد أن تعرف الحقيقة.»

اقترب منها و أمسك بكتفيها بقسوة وقال: «ربما أنت من لا يريد أن يسمع الحقيقة.»

حررت نفسها من قبضته وقالت: «ماذا تعني؟ هذا ليس له أي علاقة بي.»

هز رأسه قائلاً: «إن حبك لابن خالتك يعميك عن رؤية حقيقة أنه... فاسق... يغوي زوجة رجل آخر من وراء ظهره.»

وقفت تنظر إليه وهي جامدة في مكانها. لقد أرادت أن تتهمه بدورها: إنك تصرخ و أنت الذي يغوي النساء... أنت محطم الأحلام... ولكنها شعرت بأن ذلك يجرح كثيراً.

أخيراً قالت له: «لم يكن الأمر كذلك، ستيوارت أحب شونا.»

وبتوتر قال لها: «أتتجرأين و تضللين نفسك على حسابي؟ أتتجرأين و تذكرين اسم ستيوارت أندرسون مع اسم شقيقتي؟»

أطلقت تنهدة يأس. فقد بدا أنه من غير المجدي أن تستمر المناقشة وهو على ما عليه من الاصرار والتشنج.

على الرغم من تأكدها من أنها تضيع وقتها سدى قالت: «أنت تعذب نفسك من غير داعٍ. شونا لم تحب ستيوارت أبداً، وقد ذهب إلى إدنبرغ لأنه كان يعرف بأنها لم تحب إلا زوجها.»

لاحظت الهدوء المفاجيء على وجهه، فما كان منها إلا أن تابعت قائلة: «لم تحب إلا زوجها، وستيوارت عرف ذلك.»

لأول مرة ظهر الشك في عينيه، ونظر إليها بحيرة وقال: «إذا لم يكن من أجل أندرسون، إذن لماذا رحلت؟»

هزت جينا رأسها برقة وقالت: «هذا شيء تعرفه شونا وحدها، إلا إذا كنت أنت في قرارة نفسك تعرفه. فربما لم تكن سعيدة في غلينري.»

اقترب فجأة منها، فتراجعت إلى الوراء وتعثرت، فما كان منه إلا أن التقطها بين ذراعيه وشدّها إليه، ولكن لم يكن هناك أية نعومة في امساكه لها، وهذا ما جعلها ترتجف.

«هل تحاولين أن تقنعيني بأني أنا من جعلها ترحل؟»

أجابته وهي تشعر بالرعب: «ليس هذا ما قلته. لم أقصد هذا أبداً.»

شدها إليه بقوة مما جعلها تصرخ من الألم. «هل تحبينه إلى درجة أن تكذبي لكي تحميه؟»

حاولت أن تبتعد عنه و صرخت قائلة: «دعني أذهب. إنك تؤلمني.» فما كان منه إلا أن حملها بين ذراعيه متجاهلاً مقاومتها ودهشة آني التي قابلتهما في القاعة، وأكمل طريقه إلى الطابق العلوي باتجاه غرفة نومها القديمة.

توقفت عن مقاومته، فاحساسها ويداه تمسكانها ذكّرها بالمرة الأولى التي حملها فيها.

دفع باب غرفة النوم برجله، وتقدم ورمى بها على السرير بكل خشونة. كان اللهب يتطاير من عينيه و همس قائلاً: «أنا من تريدي. وليس أندرسون وكلانا يعلم هذا. لا أريدك أن ترمي بنفسك بأحضانه، وستتزوجينني ولو اضطررت لأن أبقيك هنا حتى تقبلي بهذا.»

نظرت إليه بخوف وقالت: «لا تكن غبياً، يا دانكن. فأنت لا تستطيع أن ترغمني على الزواج منك.»

توجه نحو الباب وهو يبتسم، ثم قال: «أتأمل أن لا أجبر

على هذا. فقليل من الوقت مع نفسك سيكون كافياً لاقناعك.»

قبل أن تهمّ بالكلام، ترك الغرفة، ثم سمعت الباب يقفل بالمفتاح. وسيطر عليها الخوف، ونهضت من السرير وركضت نحو الباب محاولة أن تفتحه، لكنها علمت أن هذا لن يفيد.

صرخت وكان صوتها مزيجاً من الغضب والتوسل: «دانكن! افتح الباب.»

لكنها لم تلق أي جواب، وسيطر عليها شعور سخيف مفاجيء، بأنها ستصرخ إلى الأبد ولا من يسمع. أحسّت بيأس فظيع وأخذت تصرخ وتصرخ، ولكن من دون فائدة.

تساءلت، أين آني؟ هل هي جزء من هذا التصرف السخيف؟ على أي حال فقد عرفت الجواب. نعم أم لا فهي لا تستطيع أن تعمل ضد إرادة دانكن الذي هو سيدها.

أدركت أنه ليس هناك من مفر، ومشت في الغرفة، وقد بدا عليها الإرهاق، وجلست على السرير متعبة، ومرهقة.

لم تعد تشعر بالرعب. فدانكن لن يستطيع أن يبقيها سجينة لوقت طويل. سيفتقدونها، على التأكيد، مع مرور الوقت، سوف تقلق خالتها وتسأل عنهما هي وسوزي، وربما أرسلت من يبحث عنهما، وعندما يجدون السيارة سيعرفون أين هما. قفزت من مكانها فجأة، بعد أن تنبهت لشيء مهم. افترضت، أن ستيوارت أتى إلى هنا ليبحث عنها، سيلتقي الرجلان على التأكيد وهما في حالة توتر ولا يعلم إلا الله ما قد يحدث. المفترض أنها هنا إلى أن تقرر الزواج من دانكن. ولكن كيف يستطيع أن يستمر بهذه المهزلة وهو يخطط للزواج من ماريان؟

لا شك أنه يدرك أن جينا تحبه. ولكنه لن يفهم الأمر كهذا، وخاصة بعد هربها من الكوخ. أيتأمل أن ينتزع منها اعترافاً كإذلال أخير لها.

تلك الليلة في الحديقة، وعندما سألها الزواج، حاولت أن تقنع نفسها بأنها ربما نجحت في تعليمه كيف يحبها. كم كانت غبية... وما تزال.

كرهت هذا الضعف المفاجيء وفكرت بأنها مسألة وقت فقط، إلى أن يعود دانكن إلى رشده ويخرجها. عليه أن يأتي، فهي لا تستطيع أن تبقى قابعة في هذا المكان لوقت طويل. إذا لم يأت حالاً.

أين سوزي؟ بالتأكيد ستسأل عن جينا، وعندما تفعل فسيطلقونها... أليس كذلك؟

اقتربت من الباب محاولة أن تفتحه ولكن هذا من دون نتيجة.

نادت: «دانكن! دعني أخرج من فضلك.

لكن هذا الصراخ كان من دون فائدة.

تقدمت من النافذة ونظرت إلى الأسفل، فرأت شجرة صغيرة، عليها أغصان غير نامية كفاية، ولكنها رأت فيها وسيلة للفرار.

لم يعد هناك أي مجال للتراجع. والتقطت غصناً ووضعت رجلها على حافة النافذة. وحاولت أن تطأ الغصن الآخر برجلها الأخرى. وبدأت تنزل تدريجياً غير عابئة بالأغصان التي تعلقت بردائها وبشعرها إلى أن أصبحت على بعد عشرة أقدام من الأرض. وليس هناك من مجال للتراجع. وصلت إلى نقطة اللارجوع.

أخيراً أمسكت بغصنٍ، ثم رمت بنفسها إلى الأرض.

ما أن سقطت حتى أحسّت بأنها وقعت بين ذراعين تجهل صاحبهما. ثم سمعت صوتاً مألوفاً يقول: «أيتها الغبية، كنت ستكسرين عنقك. فهل يعني لك أندرسون الكثير حتى تجازفي بنفسك لكي تعودي إليه؟»

فكرت كيف أنه لا يهتم بسلامتها، كما يهتم بهربها منه للارتماء بأحضان أندرسون.

كيف يفكر بأنها تحب ستيوارت بعد ما حدث في الكوخ المهجور. الكراهية وحدها هي التي تسيطر على إدراكه.

من دون أي جدوى، حاولت أن تحرر نفسها منه، لكنه أمسك بها بثبات وقال لها: «أجيبيني.»

ردت عليه بأسلوب هجومي فظ: «حسناً! أجل... أجل... أجل... أريد أن أذهب من هنا. إلى ستيوارت... إلى غليني... إلى أي مكان بعيد عنك. أليس هذا ما تريد سماعه؟» وتوقعت منه أن يجيب غاضباً، أن يثور، ولكنها لم تتوقع منه هذا الجمود والهدوء.

تملصت بمجهود بسيط من بين ذراعيه وابتعدت عنه وعن نفسها... وعن المستقبل وما يخبىء لها...

ركضت نحو الاسطبلات، حيث تركت سوزي مع ذاك الحصان اللعين الذي سرق منها قلب شقيقتها والذي قد يتحطم عندما ترحلان إلى منزلهما. وبألم عميق لعنت دانكن ثانية وثانية لوحشيته.

عندما اقتربت من الاسطبل رأتها سوزي وقالت لها: «رأيت. أنت لا تستطيعين أن توقفيني. لقد أخبرتك بأنني سأمتطي ميدنايت. أليس كذلك؟»

توقفت جينا وقد تملكها الرعب فقد تذكرت كلام دانكن عن أن الجواد ليس معداً تماماً.

قالت لها جينا بكل ما استطاعت من هدوء: «نعم، فهذا ما أخبرتني به، ولكن لو كنت مكانك لنزلت عنه الآن.»

رجتها سوزي أن تمتطيه لوقت أكثر، ولكن جينا أقنعتها بكل هدوء، ثم أخذتها من يدها، واتجهتا إلى المنزل إلى أن وصل دانكن باللاندروفر.

لاحظت بأنه لا يزال يحافظ على ذاك الهدوء: لو يعرف كم أحبته وكم أرادته، ولكن هذا لم يحدث.

أقبل عليهما وأخذ يداعب شعر سوزي، ثم قال: «سأرجعكما إلى المدرسة.»

حمل سوزي بهدوء تام ووضعها على المقعد الخلفي للسيارة، ثم ساعد جينا في جلوسها على المقعد الأمامي.

أخيراً وصل اللاندروفر إلى بوابة المدرسة.

مد يده ليساعدها على النزول، ولكنها تجاهلتها. فهي تعلم، بأنه إذا لمسها فسوف تجهش بالبكاء. فكل شيء قد انتهى بينهما الآن.

خرجت من السيارة وراقبته فيما هو يخرج سوزي من اللاندروفر.

إن الحزن في عيني شقيقتها جعلها وكأن سكيناً تقطعها بعد أن أنزلهما عند مدخل المدرسة، قفز برشاقة إلى اللاندروفر وابتعد عن المكان حتى من دون أية نظرة إلى الوراء أو كلمة وداع.

الفصل الثاني عشر

وقفت جينا تسرّح شعرها. ثم نظرت باهتمام إلى وجهها المتعب في المرآة. فاللون البرونزي الذي اكتسبته في المرتفعات اختفى وحلّ مكانه لون ذهبي شاحب.

تنهدت من كل قلبها. فقد كان مهماً ذاك الصباح أن تبدو بأحسن حالاتها من حيوية وثقة بالنفس. كان عليها أن تجري مقابلة في مدرسة ابتدائية في المدينة. وإذا لم تستطع أن تحصل على وظيفة ستصبح الأمور أكثر تعقيداً.

انعكس وجه سوزي الشاحب على المرآة إلى جانبها وقالت: «أنا جاهزة.»

نظرت إليها جينا وعانقتها. لم تنس سوزي حتى الآن كيف أن شقيقتها قد أبعدتها عن مدرسة الفروسية، عن ميدنايت، وعن جميع الأشخاص الذين تعلّمت أن تحبهم. لم يكن هناك من داعٍ لبقائها، وهي تعلم أن دانكن يحتقرها.

لقد بكت لويز عندما أخبرتها بصراحة بأنها تمنت لو أنها بقيت، وربما مع الوقت، تزوجت من ستيوارت.

ما تزال ذكرى دانكن تسيطر عليها كلياً. مرّ شهران ببطء، وبنهاية كل يوم كان الأمل يتضاءل في أن ترى دانكن يأتي إليها. لم تتوقف عن التساؤل. ماذا كان حدث لو أنها قبلت عرضه للزواج؟

وضعت الفرشاة جانباً، ووقفت تتأمل نفسها طويلاً، ولاحظت كيف أصبحت نحيلة جداً وبشكل واضح.

هل يرضى دانكن، إذا علم بأنها تذوب شيئاً فشيئاً؟ ربما نسي أمرها كلياً وتزوج من ماريان، وطرح جنون الصيف جانباً. كان الصباح صافياً وجلياً، ولكن مع وجود نسمة خريفية باردة.

تساءلت جينا عما إذا كانت الثلوج قد بدأت تتساقط في غلينري، وشعرت برغبة أليمة لرؤية جمال ذاك المكان وقد غطته الثلوج. تركت سوزي قرب مدخل المدرسة، ودخلت سوزي من دون أن تنظر إلى جينا.

تنهدت جينا بعمق وابتعدت عن المكان، مركزة تفكيرها واهتمامها على المقابلة التي ستجريها معها إدارة المدرسة الابتدائية.

كان من غير الممكن أن تعرف إذا تركت انطباعاً جدياً عندما انتهت المقابلة.

كان يجب أن تكون متفائلة بعض الشيء. ولكن بدلاً من ذلك شعرت بالتعب والاحباط وهي تستدير عند الزاوية المؤدية إلى المنزل. في البداية لم تلحظ اللاندروفر التي كانت متوقفة أمام مدخل منزلها. ثم انتبهت فجأة وأخذ قلبها ينبض بالأمل. يمكن أن يكون...

كانت تسارع الوقت لتصل إلى المدخل، فاصطدمت بالرجل الذي كان يخرج من اللاندروفر، وكاد قلبها يتوقف عندما رأت وجهاً مبتسماً مألوفاً: «ستيوارت، ماذا... ماذا تفعل هنا؟»

قال ستيوارت بابتسامة فيها شيء من الألم: «جئت

أزورك، يا عزيزتي. تظاهري، على الأقل، بأنك سعيدة لرؤيتي.»

«أوه، ستيوارت. أنا مسرورة فعلاً لرؤيتك، وأنت تعلم هذا.»

عندما رجعت سوزي من المدرسة، قابلت ستيوارت بحرارة فائقة ومرحبة به، صديقاً قديماً، بطريقة كان يتوقعها من جينا. لكن هذا السرور لم يدم طويلاً عندما علمت بأنه لم يأتِ ليصطحبهما إلى غلينري.

أخيراً بعد أن خلدت سوزي للنوم، جلست جينا مع ستيوارت ليتحدثا. ونظرت إلى وجهه الوسيم، وتعجبت كيف أنها لم تشعر بأي انجذاب عاطفي تجاهه كما شعرت بالنسبة لدانكن. الحياة كانت ستكون أسهل بالنسبة لها لو كان ممكناً أن ترتب أشياءً كهذه في طريقة واعية.

سألت عن لويز فأجابها ستيوارت: «لويز بخير، ولكنها طلبت مني أن أخبرك بأنها تفتقدك كثيراً، أنت وسوزي.» ثم أمسك بيدها وقال: «لماذا لا تعودي، يا جينا؟ فنحن في الحقيقة نحتاجك الآن بعد رحيل ماريان.»

ذهبت ماريان... إلى دانكن...؟ قالت له: «إن هذا ليس جديداً، بصراحة.»

قطب حاجبيه وقال: «ليس مهماً، يا جينا. فكل ما أريده هو أن تكوني سعيدة، وأعتقد بأنك كنت سعيدة في غلينري. فإذا كنت لا ترغبين في العمل في مدرسة الفروسية، فهناك مدرسة صغيرة في القرية وهي بحاجة إلى معلمة. وهناك مكان لتقيمي فيه، إذا كنت لا تريدين الإقامة معنا دائماً.»

حبست جينا دموعها. هذا ليس عدلاً. ففي اللحظة التي بدأت تنسى عاد ليقلّب الماضي أمامها ويذكّرها بآلامها وبالليالي الحزينة.

«لقد استلمت وظيفة.» حاولت أن تكذب عليه، ولكنها رأت نظرته التي توحي بعدم تصديقها، فعادت واعترفت له: «حسناً، على وشك أن أحصل على وظيفة. على كل حال أجريت مقابلة.»

هزّ رأسه وقال: «إذا كنت قلقة بشأن فرغسون، فهو ليس في البلدة. هناك شائعة تقول بأنه عاد إلى أدنبرغ ليعيش هناك.»

ترقرقت الدموع في عينيها وحاولت أن تسأل بصوت ثابت: «هل ذهب مع ماريان؟»

هزّ كتفيه قائلاً: «من يدري؟»

مكث ستيوارت يومين، نام على سرير ضيق في الغرفة الاضافية، ولم يترك فرصة للحوار إلا واستغلها كي يؤثر على جينا ولكنها بقيت على رأيها.

عندما همّ بالرحيل اقترب من جينا ولثمها وقال لها: «فكري بالموضوع. فأنتما كل عائلة لويز الآن. وهي تريد أن تراكما مسرورتين وسعيدتين، وأنا كذلك.» ثم شدّ على يدها وقال: «إرجعي إلى منزلك، يا جينا.»

في طريق عودته كان ستيوارت يفكر بدانكن فرغسون مع كل مرارة الماضي المختلطة بالحاضر.

اللعنة على هذا الرجل. فهو كالمغناطيس، يجذب النساء الصغيرات الجميلات. فهل من الممكن أن لا يكون فرغسون

على علم بهذا الأمر؟ وفي طريقه إلى البيت، اجتاز ستيوارت طريقاً وعرة مليئة بالغبار. إنها الطريق نفسها التي سلكتها جينا عندما حصل لها الحادث. إنها سخرية القدر التي إختطفتها من بين ذراعي ستيوارت ورمتها بين ذراعي رجل أعمى.

عند المنعطف الثاني، رأى أندرسون الصخرة الموجودة على الطرف البعيد حيث قتلت شونا. وبدا غريباً، أن تكون تلك الذكرى أقل واقعية، وأقل إيلاماً. التعب القديم هان فجأة في داخله. ربما قد آن الأوان ليبتعد عن الماضي ويتجه نحو المستقبل. ولكن ليس هنا، في هذا المكان حيث الذكريات القديمة والأمل الضائع.

أمامه مباشرة، رأى بوابة البيت الكبير القديم. كانت أنوار المدخل مضاءة، وأمام البيت رأى السيارة الأنيقة التي يستعملها فرغسون أثناء ذهابه إلى المدينة.

شعر بالاختناق لشدة غيظه. إنه ينوي مغادرة غلينري ولكن ليس قبل تسوية بعض الحسابات القديمة.

استدار إلى جهة البوابة العريضة، وقاد اللاندروفر باتجاه البيت ثم أوقفها بجانب السيارة الحمراء.

كان الباب الأمامي مشرعاً لاستقبال نسيم الليل، رفع ياقته حول أذنيه، ونصب كتفيه، ومشى بعزم بخطوات عريضة، ودخل المنزل.

الفصل الثالث عشر

عندما نزلت جينا إلى القسم السفلي وجدت مغلفين تحت باب القاعة. فأطلقت تنهيدة طويلة وتردّدت قبل أن تقترب لتلتقطهما.

احدهما كان متوقعاً، حيث كان اسم المدرسة مطبوعاً على الزاوية اليسرى من المغلف، والآخر كان مطبوعاً على الآلة الكاتبة وعليه اسم غلينري. فابتسمت، من الواضح أن لويز قد تعلمت كيف تستعمل آلة الطباعة الكهربائية في المكتب، ووضعت هذا المغلف جانباً لتقرأه لاحقاً.

أخذت الرسالة الأولى معها إلى المطبخ، لكي تحضر كوباً من الشاي. فعلى كل الأحوال، هي بحاجة إلى كوب من الشاي عندما تقرأ مضمون الرسالة، وتردّدت في فتحها، وارتجفت يدها عندما فعلت.

مضى أسبوعان على اجراء المقابلة في المدرسة، ومع كل يوم يمضي كانت تفقد الأمل تدريجياً. حتى الآن لا تستطيع أن تفتح المغلف الأبيض خشية أن ينتهي انتظارها بطريقة أو بأخرى.

منذ رحيل ستيوارت وهي تحاول جاهدة إيجاد وظيفة ولم توفق. وكانت هذه هي الوظيفة الوحيدة التي اجرت لها مقابلة ولهذا علّقت عليها أملاً كبيراً.

ما أن فتحت الرسالة حتى علمت، وقبل أن تقرأها بأنها فشلت.

دفعت الرسالة بعيداً بعدما قرأت محتواها، ثم أحنت رأسها ووضعت وجهها بين يديها بصمت رهيب. حرقت جفنيها دموع لم تذرف وشعرت كم هي بأمس الحاجة الآن إلى قلب يريحها... إلى كتف تبكي عليها...

بعد مرور القليل من الوقت، فكرت برسالة لويز ومشت متثاقلة لتحضرها. كانت بحاجة إلى كلام خالتها المريح برغم علمها، أنها ستزيد من آلامها.

دهشت جينا بالرسالة التي تعلن بأن مرسلها هو مدير مدرسة غلينري. قرأت الرسالة وفوجئت بأنه يدعوها إلى مقابلة. وحذرها في المقطع الأخير من الرسالة بأن لا تحاول أن تأتي بسيارتها، بل عليها أن تستقل القطار إلى أقرب محطة، وسوف يرسلون من يصطحبها من هناك إلى المكان المقصود. كانت الرسالة موقعة باسم السيدة اليزابيت ماك كولو، سكرتيرة المدرسة. إنه ستيوارت بالطبع. هو من فعل هذا. وإذا صح ما قاله ستيوارت بأن في المدرسة مكاناً للإقامة، فستصبح في غنى عن ضيافة خالتها. بذلك تستطيع أن تهتم بسوزي بشكل كاف، ولن تكون مضطرة لرؤية ستيوارت كثيراً.

لن يكون دانكن موجوداً. ربما هو الآن مع ماريان بعيداً عن غلينري. وقد لا تبقى غلينري مجرد مكان للذكرى... ذكرى دانكن... والصيف الحلو المر... بل تصبح وطنها.

فكرت بوجه سوزي الحزين على مدى الأشهر القليلة الماضية، وشعرت بالذنب. فهل سيتاح لها من جديد فرصة اسعاد الفتاة مرة ثانية؟

• • •

تلهفت جينا كثيراً لتخبر سوزي بأنهما ذاهبتان إلى غلينري لأنها عثرت على عمل. وتأثرت كثيراً عند رؤية السرور على وجه شقيقتها عندما أعدّت الحقيبة لهما معاً، لقضاء الليلة الأولى.

كانت الإثارة بادية على وجه سوزي في المحطة وخلال الرحلة الطويلة، بينما كان التوتر بادٍ على وجه جينا.

أخذت سوزي تسأل السؤال تلو السؤال. «هل سنبقى مع خالتي لويز؟ هل سيكون لدي الوقت لأمتطي الجياد؟ هل تعتقدين أن دانكن سيمانع إذا أردت ركوب ميدنايت؟»

حاولت جينا أن تجيب بكل هدوء، قدر ما استطاعت. أطلقت تنهيدة عميقة بسبب شعورها بالراحة عندما وصلتا إلى المكان المقصود.

خرجتا من القطار، ووقفتا تنتظران وصول السيارة التي ستقلهما كما جاء في الرسالة.

العربة الوحيدة المرئية كانت سيارة لاندروفر تقف قريباً من المدخل. فكرت جينا بأنها قد رأت هذه السيارة من قبل، طرحت الفكرة جانباً، مؤكدة لنفسها بأن سيارات اللاندروفر في هذه المنطقة جميعها متشابهة.

لكنها لم تكن مخطئة، فهذا الرجل الذي يقترب منهما يحمل تعابير وجه مألوف لديها.

انتفض قلبها فجأة وأحسّت بشيء يدفعها إلى الوراء، للعودة من حيث أتت، ولكن سوزي ركضت باتجاه دانكن وهي تطلق صرخة فرح دوت في كامل أرجاء المحطة.

«دانكن! لقد علمت بأنك ستأتي لاصطحابنا.»

وقفت جينا مذهولة تحملق عاجزة، إلى الشخص الذي

يقترب، وقد جمدتها النظرة القاتمة التي وجهها إليها من فوق كتف سوزي.

التقطت جينا أنفاسها بصعوبة ووقفت تنتظر من دون حراك. عيناها فقط كانتا تتحركان، ولثوانٍ طويلة وقفت تحملق به لتتحسس شيئاً عن نواياه، ولتعرف كيف يمكن أن تواجهه.

قال لها بهدوءٍ من دون أية محاولة للمسها: «مرحباً، يا جينا. أنا مسرور جداً لوصولك.»

فكّ عقال لسانها فجأة وقالت: «ماذا تفعل هنا؟ كنت أتوقع شخصاً من المدرسة.»

لوى فمه ساخراً وقال بصوت جاف: «أنا مدير المدرسة، بكل شرف.»

ما يزال كما كان، اللهجة الساخرة الباردة نفسها... العينان المليئتان بالقسوة نفسها.

فكرت بأن هذه الوظيفة كانت حيلة من حيله الشريرة، خططها من أجل أذيتها وإذلالها.

قالت والشرر يتطاير من عينيها: «عليك أن تخجل من نفسك، ولكنني، على ما أرى، أطلب الشيء الكثير.»

ابتسم فجأة وكأن الشمس قد أشرقت في يوم غائم.

«ما زلت جينا البرية الجميلة.»

لامس شعرها بأصابعه الطويلة بكل لطف.

أرادت أن تتراجع إلى الوراء وتبتعد عنه، ولكنها وجدت نفسها تتشوق لهذا الحنان الظاهر في عينيه. ووجدت نفسها تنسل إلى ذراعيه عندما اقترب منها وعانقها.

قال لها بصوت خفيض يشبه الهمس: «حمداً لله على سلامتك.»

اللحظات التالية كانت كالحلم. ابتعد عنها والتقط حقيبتها وقال: «هيا بنا إلى المنزل.»

بينما هم جالسون في اللاندروفر والعجلات تلتهم الأميال، أخذت جينا تعود إلى الواقع تدريجياً. ماذا عن... «لنذهب إلى البيت؟» وتسارعت الأسئلة في رأسها.

كان يحملق إلى الطريق أمامه، وانصب كل تركيزه، الآن على الطريق الوعرة الضيقة.

أخيراً وبعد صمت طويل وبعد أن تبينت وجهة سيرهم قالت له: «من المفترض أننا ذاهبون إلى غلينري لإجراء المقابلة.» عندما رأت الابتسامة الساخرة على وجهه ثارت غاضبة وقالت: «ربما هذا يدهشك، ولكنني بحاجة إلى هذه الوظيفة. فإذا كنت ستفعل أي شيء يهدد بضياع هذه الفرصة، فلن أسامحك أبداً.»

التفت إليها بابتسامة باردة وقال: «اهدئي. فإذا كنت تريدين الوظيفة، فهي لك.»

جوابه جعلها تكف عن الكلام. لقد ظنت بأن ستيوارت وراء هذه الوظيفة، ولكن كيف حدث، أن دانكن مشترك بهذا؟ لم تجد أي جواب. ماذا يتأمل دانكن أن يربح من اختطافها ثانية؟

من المستحسن أن لا تسأل الآن كي لا تزعج سوزي، فهي سوف تحصل على أجوبتها في أقرب فرصة ممكنة.

عند مدخل المنزل، وجدوا لجنة استقبال تنتظرهم. وأخذت سوزي تقفز من على مقعدها، وعندما وقفت اللاندروفر عند المدخل الأمامي. خرجت سوزي من السيارة ورمت بنفسها بين ذراعي آني، قبل أن يوقف دانكن المحرك. أمسك دانكن بذراعها ثم أشار للنساء بالانصراف وقال

لآني: «خذي الصغيرة إلى الداخل، فأنا أريد أن أتحدث مع جينا ولا أريد أن يزعجنا أحد.»

اختفوا جميعاً وبقيت جينا وحدها في القاعة مع الرجل الذي أحبت منذ أول لقاء.

أخذها من يدها إلى غرفة الجلوس، حيث كانت النار تلتهب في الموقد. ثم أجلسها على الأريكة ممسكاً بها بقوة وثبات، بينما كانت عيناه تتأملان وجهها.

سألت جينا: «لماذا أحضرتني إلى هنا؟»

«لأن هذا المكان هو المكان الذي تنتمين إليه.»

ارتجفت لأنها لم تتأكد من مغزى كلامه.

قالت له بكل هدوء: «لا أستطيع مجابهتك أكثر من هذا، يا دانكن.»

ابتسم قائلاً: «أخبار حسنة. فالمجابهة ليست ما أفكر فيه الآن.»

نظراته لها كانت تزيد من نبضات قلبها، لكنها حافظت على نبرة صوتها المنخفض والهادىء.

قالت: «ربما تريد أن تخبرني عن الذي يدور في خلدك، ولكني أحذرك... فأنا لا أنوي أن أشترك في ألاعيب أخرى.»

رد عليها: «أنا مسرور لسماع هذا. مندهش لسماعك بأنك كنت تلعبين، فأنا كنت دائماً جدياً في كلامي.»

«دائماً؟ حتى عندما طلبت مني الزواج؟ أتعتقد بأني لا أعرف إلى أي مدى كرهتني، وكم أردت أن تؤذيني؟ لكنك الآن لن تستطيع أن تفعل هذا بي.»

سمعته يتأوه. نظرت إليه ورأت الألم في عينيه.

قال لها وبرقة: «لم أكرهك أبداً. ولكني في البداية كرهت

فكرة كونك مع أندرسون. أردت أن أمنعه من امتلاك ما اعتقدت بأنه لن يعود إليَّ ثانية... ألا وهي السعادة.»

نظر فجأة إليها وكأنه يبحث عن عينيها وقال: «أردت فعلاً أن أنتقم، لكن بعد ذلك أردتك أنت، وعلى الرغم من كل شيء، أردتك.»

ردت عليه بمرارة: «أردتني حتى في ذلك اليوم في الكوخ... أم أنها كانت مجرد نزوة؟»

«أنت مخطئة.»

أمسكها بين ذراعيه، فلم تبد أية مقاومة، بل وقفت بين ذراعيه مستسلمة، غير مقاومة. ثم أخذ يداعب شعرها.

قال برقة: «اللعنة، فعليَّ أن أعترف بهذا. هذا كل ما قصدته. صدقيني، حاولت كثيراً أن أقاوم، ولكني كنت أقاوم نفسي كل الوقت، ولم أستطع أن أربح.»

تنهدت جينا وقالت: «أوه، دانكن. هل أصدق هذا؟ أليس من الممكن أن تكون خدعة أخرى من أخاديعك؟»

شدَّها إليه أكثر وقال: «إذا استطعت أن أقنعك، فهل تسامحيني... تثقي بي؟»

همست قائلة: «لماذا بقيت بعيداً عني كل هذا الوقت؟ لقد كنت آمل أن تأتي وتفتش عني.»

«إن الله يعلم كم أردت ذلك. لقد أخذ هذا مني كل القوة التي أملكها لأبقى بعيداً عنكِ.»

سألته: «لكن لماذا؟»

«لقد اعتقدت بأنك تحبين أندرسون. لقد قلت بأنك ستتزوجينه، حتى أنك خاطرت بنفسك وقفزت من النافذة لتعودي إليه.»

تنهدت جينا بعمق. وتأكدت من أن كذبها هو سبب تعاستها... لقد أبعده عنها. وتابع دانكن قائلاً: «وبعد ذلك أخبرني أندرسون بأنك تحبينني. فعدت أصدق من جديد ما كنت أراه في عينيك، وأستشعره عندما أكون بقربك.»

ابتعدت عنه وبدا الغضب على وجهها وقالت: «لقد تحدثت مع ستيوارت؟ عني أنا؟»

«لقد نكرك في سياق الحديث. بعد أن تبادلنا التحيات وبعض الحقائق العائلية.» هز رأسه وقال: «ذكرى الدماء التي نزفها كل منا. بعدها صحح لي أموراً كثيرة.»

ما زالت جينا غير مصدقة لما تسمع.

«هل سامحت ستيوارت؟»

رد عليها قائلاً: «لقد أقنعني بأن ليس هناك شيئاً لأسامح عليه، وقد تطلّب هذا مني بعض الوقت لأسامح نفسي.»

سألته: «هل خططت مع ستيورات لإرجاعي إلى غاينري؟»

«ليس بالضبط. أندرسون زارني بعد عودته من زيارتك. وقد اعترف بأنه ذهب وكان يتأمل أن يقنعك بالزواج منه، ولكنه استسلم، لأنه اعتقد بأنك تحبينني أنا.»

عضّت جينا على شفتيها. هكذا إذن، فقد كان ظاهراً للأعين بأني أحبه!

ابتسم دانكن وقال: «لا أريد أن أعيد على مسامعك التهديدات التي أطلقها، إذا أذيتك، لأن هذا لن يحدث أبداً.»

قالت جينا باضطراب: «لكن... الوظيفة...»

أومأ برأسه قائلاً: «أخبرني أندرسون بأنه ذكرها

أمامك، وطلب مني أن أدرج اسمك مع بقية الأسماء، وكمسؤول عن المدرسة كنت سأعلم بهذا عاجلاً أم آجلاً. وبدا لي أنها طريقة لا بأس بها لإحضارك إلى هنا، وهكذا أستطيع التحدث إليك، ولكنها لم تكن حيلة. فالوظيفة موجودة، وهي لك إذا أردت.»

أكدت قائلة: «أنا فعلاً أريدها. لكن أليس هناك من مرشحين آخرين؟»

«واحد أو اثنان. لكن أنا متأكد أنك ستفوزين بها.»

أحاطها بذراعيه ثانية وقال لها: «لكن، أليس من الأفضل لو تتزوجيني؟»

ردت عليه: «لا أدري... إذا كنت أضمن بأن... لن يكون هناك أي أشباح...»

حملق بها وكأنه لا يفهمها، ولكن ما أن اتضح المعنى جيداً، حتى تبدّلت تعابير وجهه.

«لن يكون هنا أي أشباح، يا جينا. لقد دُفن الماضي، وسأفعل الشيء نفسه مع مستقبلي، إذا لم تقبلي أن تشاركيني إياه.»

اقترب منها، ولكنها قاومت وسألت: «ولكن ماذا بشأن ماريان؟ لقد أخبرني ستيوارت بأنك كنت ستتزوجها. وهذا بالتحديد ما جعلني أشك بطلبك الزواج مني.»

هزّ رأسه ثم قال: «معلوماتها أفضل من ذلك. كنت دائماً صريحاً معها.»

اندهشت لسماعها هذا وقالت: «مسكينة ماريان، أين هي الآن؟»

هزّ دانكن كتفيه، غير مبالٍ وقال: «لا أعلم، لقد رحلت

عندما تأكدت من أن غيابك لم يبدل شيئاً من مشاعري. ولا يدهشني أن يعلم ابن خالتك هذا، لأنه اتهمني بأنني أحبك.»

هدأت لسماعها هذا، وقد كانت المرة الأولى التي يذكر بها أنه يحبها.

قالت له ممازحة: «لقد كانت مخطئة بالطبع.»

ضحك وقال: «لا، لقد كانت على حق. وقد لاحظت هذا منذ البداية... عندما كنت أعاند نفسي ولم أعترف بذلك. لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها. ولكني لم أكن أريد لهذا أن يحصل... مع ابنة خالة رجل كاندرسون. وكنت عندما ألمسك... أو أقبلك، أحاول أن أقنع نفسي بأنني أعاقبك. ولكني بالفعل كنت أعاقب نفسي. مع كل عناق... وكل حنان... كان حبي لك يزداد... لم أكن استطيع التصور بأني بعيد عنك... وشيئاً فشيئاً أصبح من غير الممكن أن أدعك ترحلين.»

أطلقت جينا ابتسامة ساخرة: «لذلك أقفلت عليَّ غرفة النوم لتتأكد من ذلك.»

بدا الاحمرار على وجهه وقال: «لحظة يأس، أعترف بذلك. ولكن مع مرور الوقت بدا لي أنها الطريقة الوحيدة لأجعلك تفكرين بي جدياً. لم أكن أقصد بأن أجعلك سجينة بل لأعطيك الوقت لكي تفكري.»

«وهذا ما أحتاجه الآن.»

بدا الاضطراب على وجهها. وابتعدت عنه ووقفت بالقرب من النافذة تنظر إلى الخارج.

اقترب منها ووضع يده على كتفها. ثم تمتم قائلاً: «يبدو أنك ستقررين بسرعة. فإذا بقيت تمطر ثلجاً، فربما بقينا

محاطين بالثلج لأشهر. وأدار وجهها ناحيته وقال: «عندما يذوب الثلج سنتزوج.»

ضحكت جينا قائلة: «هل أنت متأكد من أنك لم تتحكم بالطقس أيضاً؟ كوسيلة أخرى لترغمني على الزواج.»

اختفت الابتسامة عن وجهه وقال لها: «لن يكون هناك أي قوة. فلربما هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أردت فيها سعادة شخص آخر غيري. أحبك وأريدك.»

هزَّت جينا رأسها، غير راغبة في أن تسلّم نفسها له أخيراً. «أنا ما أزال غير مصدقة أنك تعني هذا. لقد تعودت على فكرة أنك تكرهني.»

أمسك يدها ووضعها على شفتيه ثم قال: «دعيني أبرهن لك بأنني أحبك، يا جينا. فقد أخذ مني وقتاً طويلاً لأبرهن هذا لنفسي.»

امتلأ قلبها فجأة بأمل مفاجيء. هل من الممكن أن يكون هذا صحيحاً بعد كل الذي جرى؟

أخذها بين ذراعيه ليعانقها. لم تبد جينا أية مقاومة له. وشدها إليه أكثر. ارتاحت له بتنهيدة عميقة. فهي الآن في المكان الذي أرادته منذ اليوم الأول للقائهما... بين ذراعيه.

«قولي بأنك تحبينني، يا جينا.»

همست له: «أحبك.»

لقد أتت غريبة إلى بيته وقلبه... ولكنها الآن ليست بغريبة عن بيته... ولا حتى عن قلبه. لقد كانت الرحلة شاقة، ولكنها وجدت طريقها الى السعادة.»

تمت